البلاغة القرآنية في سورة القلم

د. رمضان محمد محمود حسان

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وأدبها

بكلية الدراسات الإسلامية

٢٠١٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وهداية للعــالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

أما بعد

فهذا بحث بلاغي بعنوان (**البلاغة القرآنية في سورة القلم دراسة تطبيقية**) تناولت فيه هذه السورة مبرزاً الجانب البلاغي ، مظهراً عظمة القرآن وجمـــال تركيبه ، وجودة سبكه ، وروعة أدائه ؛ لوضع اليد على خـــصائص التعـــبير القرآني وبلاغته .

هذا ، وقد ذكرت تمهيداً بين يدي السورة اشتمل على اسمها وبـــيَّن المكـــي والمدني منها ومتى نزلت ، ومقاصدها وأهدافها العامة ، ومناسبتها لما قبلها ، ثم قسمت البحث إلى أربع فقرات كل فقرة تضم مجموعة من الآيـــات الـــتي تتحدث عن قصة أو درس من دروس السورة ، واضعاً لكل فقـــرة عنوانـــاً يشتمل على ما ورد فيها من دروس وعبر وفعلت ذلك ليسهل تحصيل الفائدة ، وهذه الفقرات هي :

أولاً : البلاغة القرآنية في الفقرة الأولى وتشمل الآيات (١ – ١٦)

(**إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم**) .

ثانياً : البلاغة القرآنية في الفقرة الثانية وتشمل الآيات (١٧ – ٣٣)

(**قصة أصحاب الجنة**) .

ثالثاً : البلاغة القرآنية في الفقرة الثالثة وتشمل الآيات (٣٤ – ٤٣)

(قانون الجزاء الرباني للمؤمنين والكـافرين في الثـواب والعقاب عند الله) .

رابعاً : البلاغة القرآنية في الفقرة الرابعة وتشمل الآيات (٤٤– ٥٢)

(الثبات والصبر في نشر الدعوة الإسلامية) .

وقد كان منهجي في البحث كالتالي :

ذكر مناسبة الآية لما قبلها ، ثم ذكر المعاني اللغوية ، ثم المعنى العام للآيـة ، ثم ذكر ما ورد بها من فنون بلاغية وأساليب أدبية .

وعقدت في نهاية البحث خاتمة ضمنتها أهم الفوائد ، وفهرساً للمراجع وآخر للموضوعات .

والله الكريم أسأل أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يجعله خالصاً لوجهـه الكريم ، وأن يبيض به وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، إنـه خـير مسئول وخير مجيب ، وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلـى آلـه وصحبه وسلم .

راجي عفو ربه الكريم المنان

رمضان بن محمد بن محمود بن حسان

الأستاذ المشارك بالمعهد العالي للأئمة والخطباء

بجامعـة طيبـة

تمهيد : بين يدي السورة

سميت هذه السورة في أغلب التفاسير وفي صحيح البخاري سورة (ن والقلم) أي سورة ذلك اللفظ ، وهي في بعض المصاحف سورة (القلم) .

وهي مكية ، قال ابن عطية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل [1] . وذكر القرطبي عن الماوردي أن ابن عباس وقتادة قالا: هي مكية من أولها إلى قوله : ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ الآية (١٦) ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ الآية (٣٣) مدني ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ يَكْتُبُونَ ﴾ الآية (٤٧) مكي ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الآية (٥٠) مدني ، وما بقي مكي [2] .

وفي الإتقان عن السخاوي أن المدني منها من قوله : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ومن قوله : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنَ

---

(١) ينظر تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق السيد عبدالعال السيد إبراهيم ج ١٥ ص ٢٤ ط مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ج٢٩ ص٥٧-٥٨ طبعة الدار التونسية بدون تأريخ .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٧ ص٢٢٢ ط دار الكاتب العربي مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

﴿ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ فلم يجعل قولــه : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ إلى قولــه : ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ مدنياً ، خلافاً لما نسبه الماوردي إلى ابن عباس [1].

وهذه السورة عدّها جابر بن زيد ثانية السور نزولاً قال: نزلت بعد سورة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ وبعدها سورة المزمل ثم سورة المدثر ، والأصح حديث عائشة أن أول ما أنزل سورة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ ثم فتر الوحي ، ثم نزلت سورة المدثر ، وفي حديث جابر بن عبدالله أن سورة المدثر نزلت بعد فترة الوحي ، يحمل على أنها نزلت بعد سورة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ جمعاً بينه وبين حديث عائشة رضي الله عنها.[2]

وقد رجح أحد الباحثين المعاصرين أنها السورة الرابعة نزولاً ، إذ نزلت بعد العلق ، والمدثر ، والمزمل.[3]

ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل [4] .

---

(١) ينظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ج١ ص١٠٤ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢٦هـ بتحقيق مركز الدراسات القرآنية .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ص٥٨ .

(٣) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر/عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ج١ ص١٩٥ ط دار القلم ، دمشق .

(٤) ينظر تفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢٩ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٨ ص٣٠٧ طبعة دار الفكر الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

أهداف السورة ومقاصدها العامة

تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية وهى :

أ. موضوع الرسالة والشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد ﷺ .

ب. قصة أصحاب الجنة ، لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى .

ج. الآخرة وأهوالها وشدائدها ، وما أعد الله للفريقين : المسلمين والمجرمين ،

ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو موضوع إثبات نبوة محمد ﷺ [1].

وهذه السورة علاجات تربوية للرسول ﷺ بشأن مواقف المكذبين برسالته وبالقرآن إبان نزول سورة القلم ، ويلحق به الدعاة من أمته إذا واجهوا أمثال هذه المواقف.

كما أنها علاجات تربوية وتأديبية للمكذبين برسالة الرسول ﷺ بحسب مواقفهم إبان نزول السورة ، ويلحق بهم أمثالهم من بعدهم [2].

جاء في هذه السورة الإيمان بالحرف الذي في أولها إلى تحدى المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن ، وهذا أول التحدي الواقع في القرآن إذ ليس في سورة العلق ولا في المزمل ولا في المدثر إشارة إلى التحدي و لا تصريح به .

---

(١) ينظر إيجاز البيان في سور القرآن ، محمد على الصابوني ص٢٥٥ طبعة مكتبة الغزالي الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٢) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر ج١ ص١٩٩ .

ثم ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على رفعة قدر الرسول ﷺ وشرفه وبراءته مما ألصقه به المشركون من اتهامه – وحاشاه- بالجنون وبينت أخلاقه العظيمة ، ومناقبه السامية ، ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾الآيات.

ثم تناولت موقف المجرمين من دعوة رسول الله ﷺ وما أعده الله لهم من العذاب والنكال وتوصية الله رسوله ﷺ بأن لا يستجيب لإغراءات المكذبين برسالته كأن يداهنهم في قضايا الدين كما يداهنونه .

ثم ضربت مثلا لكفار مكة في كفرانهم نعمة الله العظمى ببعثه خاتم الرسل ﷺ إليهم وتكذيبهم به ، بقصة أصحاب الجنة ذات الأشجار والزروع والثمار ، حيث جحدوا نعمة الله ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين ، فأحرق الله حديقتهم ، وجعل قصتهم عبرة للمعتبرين ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ الآيات.

ثم تعرضت السورة لقانون الجزاء الرباني بقسمة: الجزاء بالفضل ، والجزاء بالعدل ، إذ قارنت بين المؤمنين والمجرمين على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب ، مع بيان أن الحكمة الربانية تقضي بأن لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ، واقترن هذا البيان بعلاجات جدلية لمنكري الجزاء الرباني وبعرض بعض اللقطات من مشاهد الجزاء التي ستكون يوم الدين .

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ الآيات .

وبعدئذ اشتملت السورة على توجيه الإنذار للمكذبين بالقرآن بأن الله - عز وجل- سيستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وسيمهلهم حتى ينزل بهم عقابه القاصم الماحق ، جزاء تكذيبهم وكفرهم بما جاء به رسول ربهم .

وبعدئذ ناقشت السورة الكافرين بطريقة غير مباشرة ، إذ وجهت للرسول ﷺ سؤالين عن أمرين لو كان أحدهما موجوداً ربما كان لهم بعض العذر ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول ﷺ بالصبر على أذى المشركين وعدم التبرم والتضجر بما يلقاه في سبيل تبليغ دعوة الله ، كما حدث من يونس عليه السلام - حين ترك قومه وسارع إلى ركوب البحر﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ الآيات ، كما ختمت السورة بتأكيد ما سبق بيانه في سورتي المدثر والمزمل من أن القرآن الكريم تذكرة فمن شاء ذكره ففي المدثر قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ [1] ، وفي المزمل قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾. [2]

---

(١) سورة المدثر آية ٥٤-٥٥ .

(٢) سورة المزمل آية ١٩ .

وفي القلم ختم الله السورة بقوله : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)
ومع تأكيد أصل الفكرة فبين هذه النصوص الثلاثة تكامل في المعاني ، فالقرآن تذكرة لمن شاء أن يذكره ولمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ، وهو ذكر لكل العالمين المكلفين إنسهم وجنهم.(٢)

مناسبتها لما قبلها

يقول أبو حيان مبيناً مناسبتها لما قبلها : (إنه فيما قبلها ذكر أشياءً من أحوال السعداء والأشقياء ، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع ، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصبا، وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلفظه رسول الله ﷺ بالوحي ، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر ومرة إلى السحر ومرة إلى الجنون ، فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على آذاهم ، وبالثناء على خلقه العظيم (٣) .

---

(١) سورة القلم آية ٥٢ .

(٢) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٥٨، ٥٩ وإيجاز البيان في سور القرآن للصابوني ص٢٥٥، ٢٥٦ ومعارج التفكر ودقائق التدبر ج١ ص١٩٩- ٢٠٢.

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣٠٧ .

ويقول الألوسي: (ومناسبتها لسورة الملك على ما قيل من جهة ختم تلك بالوعيد وافتتاح هذه به ، وقال الجلال السيوطي في ذلك : إنه تعالى لما ذكر في آخر الملك التهديد بتغوير الماء استظهر عليه في هذه بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة بطائف طاف عليهم وهم نائمون فأصبحوا و لم يجدوا له أثراً حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق ، وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة ، فالماء الذي هو لطيف أقرب إلى الإذهاب ، ولهذا قال سبحانه هنا:

﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ وقال جل وعلا هناك : ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما إسري على الثمر في ليله ..)[١] وقيل غير ذلك [٢] .

هذا وقد قسمت هذه السورة إلى أربع فقرات ، كل فقرة تضمنت مجموعة من الآيات التي تحدثت عن قصة أو درس من دروس السورة ، واضعا لكل فقرة عنواناً يجمع ما ورد بها من دروس وعبر ، وفعلت ذلك ليسهل تحصيل الفائدة ، وهذه الفقرات هي :

---

(١) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٢٢ ، ٢٣ .

(٢) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج٢٠ ص٢٧٣، ٢٧٤ طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١. إثبات نبوة الرسول ﷺ من أول السورة وحتى الآية رقم (١٦) .

٢. قصة أصحاب الجنة من الآية رقم (١٧) وحتى الآية (٣٣) .

٣. قانون الجزء الرباني للمؤمنين والكافرين في الثواب والعقاب عند الله من الآية (٣٤) وحتى الآية (٤٣) .

٤. الثبات والصبر في نشر الدعوة الإسلامية من الآية (٤٤) وحتى الآية (٥٢) .

وإليك البلاغة القرآنية في هذه الفقرات الأربع .

أولاً : البلاغة القرآنية في الفقرة الأولى الآيات (١-١٦) (إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ

ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾

قرئ ﴿ن﴾ بالسكون على الوقف وقرأ الأكثرون بسكون النون وإدغامها في و ﴿القلم﴾ بغنة عند بعضهم ، وبدونها عند آخرين وقرئ بكسر النون ، وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق وعيسى بخلاف عنه بفتحها وكسرت لالتقاء الساكنين ، وجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضوع الجر كقولهم : الله لأفعلن بالجر ، وأن يكون ذلك نصباً بإضمار اذكر ونحوه (١) .

وما عليه الجمهور أنه حرف من الحروف المقطعة التي افتتح الله بها السور تحدياً للعرب ، واختلفوا في تأويله فقيل هو اسم للحوت الأعظم الذي عليه الأراضون السبع ، وقيل اسم للدواة ، وقيل ﴿ن﴾ لوح من نور ، وقيل إنه حرف من حروف الرحمن ..إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة. (٢)

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢٣ ، وروح المعاني للآلوسي ج٢٩ ص٢٣ طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، والمحرر الوجيز ج١٥ ص٢٦ .

(٢) ينظر الكشاف ج٤ ص١٢٦ وتفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢٣ ، والبحر المحيط ج٨ ص٣٠٧ وتفسير البيضاوي ج٢ ص٢٧٣ وروح المعاني ج٢٩ص٢٣ ، والمحرر الوجيز ج١٥ ص٢٥-٢٦ .

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ الواو حرف قسم ، والقلم المقسم به ، قيل المراد به قلم اللوح ، وعبر عنه بضمير الجمع تعظيماً له ، أو أن المراد بـه جنس ما به الخط ، فضمير الجمع لتعدده لكنه ليس بكاتب حقيقة بل هو آلة للكاتب ، فالإسناد إليه إسناد إلى الآلة مجازاً ، والتعبير عنـه بـضمير العقلاء لقيامه مقامهم ، ومنهم من فسره بقلم الملائكة الكرام الكـاتبين ، وأل فيه على التفسيرين للعهد ، ومنهم من فسره بالجنس على أن التعريف فيه جنسي (١).

وأيًا ما كان فإن أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر ، وإن أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيـدي النـاس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلاً موجباً لتعظيمه (٢) . وقيل أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان (٣) .

---

(١) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٢٣ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١١ وروح المعاني ج٢٩ ص٢٤ .

(٣) ينظر تفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢٤ ، ٢٢٥ .

وقيل أقسم به لكثرة فوائده [1] ، وقيل لشرفه بأنه يكتب به القرآن وكتب به الكتب المقدسة ، وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق والعلوم ، وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى [2] ، وقيل أقسم به تعظيماً له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف [3] .

ومعنى ﴿ وما يسطرون ﴾ وما يكتبون ، أو ما يكتب من كتب ، وقيل ما يستره الحفظة ، والضمير للقلم بالمعنى الأول (خط اللوح) على التعظيم لأنه واحد فالتعبير عنه بضمير الجمع تعظيماً له ، أو بالمعنى الثاني على إرادة الجنس ، وإسناد الفعل إلى الآلة وإجراؤه مجرى أولى العلم لإقامته مقامهم أو لأصحابه أو للحفظة [4].

وما موصوله أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في ﴿ يسطرون ﴾ لهم كأنه قيل : وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ، ويراد منهم كل ما يسطر أو الحفظة [5] .

---

(١) ينظر تفسير البيضاوي ج٢ ص٢٧٣ .

(٢) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٠ .

(٣) الكشاف ج٤ ص١٢٦.

(٤) ينظر حاشية الشهاب على البيضاوي ج٨ ص٢٢٧ .

(٥) الكشاف ج٤ ص١٢٦ .

و﴿ مَآأَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ جواب القسم والباء في ﴿ بنعمة ربك ﴾ للمصاحبة والملابسة وهي متعلقة بمفرد وهو حال من الضمير في خبرها والعامل في الحال الذي هو متعلق الجار والمجرور هو معنى النفي في ﴿ ما أنت ﴾كأنه قيل:أنت بريء من الجنون ملتبساً بنعمة ربك التي هي النبوة والرياسة العامة ،

أو أنفى عنك حالة كونك ملابساً ومصحوباً بنعمة الله عليك أن تكون مجنوناً (١) .

وقيل الباء للسببية والمعنى: انتفى عنك الجنون بسبب نعمة ربك عليك ، والباء في ﴿ بمجنون ﴾ زائدة لتأكيد النفي ومجنون خبرها والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير في الخبر (٢) .

والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال ، مع الإضافة إلى ضمير ﷺ لتشريفه ﷺ والإيذان بأنه – تعالى – يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها . (٣)

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١١ ومعارج التفكر ودقائق التدبر ج١ ص٢١٠ .

(٢) ينظر تفسير البيضاوي ج٢ ص ٥٢٦ وروح المعاني ج٢٩ ص٢٤ وحاشية الجمل على الجلالين ج٤ ص٤٤٧ .

(٣) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١١ .

وقوله : ﴿ بنعمة ربك ﴾ اعتراض بين المحكوم عليه والحكم للتوكيد والتشديد وللمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه ﷺ . [1]

وقد أقسم الله أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء :

نفي الجنون عنه ، وثبوت الأجر له وكونه على خلق عظيم ، فالمقسم به شيئان أو ثلاثة [2] ، والمقسم عليه نفى أن يكون النبي ﷺ مجنوناً والخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لما دعاهم إلى الإسلام : هو مجنون ، وقد أجيب قولهم وتأكيدهم ذلك بحرف ﴿إن﴾ ولام الابتداء إذ قالوا كما حكاه الله عنهم في آخر السورة ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ فرد الله عليهم بمؤكدات أقوى مما في كلامهم ، إذ أقسم عليه وجيء بعد النفي بالباء التي تزاد بعد النفي لتأكيده ، وبالجملة الإسمية منفية لدلالة الجملة الإسمية على ثبات الخبر ، أي محققة ، فهذه ثلاث مؤكدات [3].

واقتضت الحكمة التربوية في هذه المرحلة الأولى أن لا يواجه الله عز وجل متهمي الرسول بالجنون بالخطاب المباشر الذي يبين فيه فساد مقالتهم

---

(1) ينظر البحر المحيط ج8 ص307 والمحرر الوجيز ج15 ص27 .

(2) ينظر حاشية الصاوي على الجلالين ج3 ص220 .

(3) ينظر التحرير والتنوير ج29 ص61 ، 62 .

تلطفاً بهم وإيثارا لأسلوب التدرج الارتقائي في الوسائل من التعريض إلى التصريح ثم إلى المواجهة بالخطاب ثم إلى التعنيف فالشتيمة إذا اقتضى الأمر ذلك (١) .

ولما نفى سبحانه عنه ﷺ ما قالوه مما تواقحوا به فثبت له ﷺ كمال العقل ، وكان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم ، ولا قول يرتبط فلا يستعمله أحد في شيء ليكون له عليه أجر ، أثبت له الأجر المستلزم للعقل فيتحقق إثباته من أحكم الحكماء على وجه أبلغ عما لو صرح به ، فقال على وجه التأكيد لإنكارهم له بما ادعوا فيه من البهتان ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٢).

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أي وأن لك لأجراً على ما تحملت من أثقال النبوة ومن أذاهم مما ينسبون إليك مما أنت لا تلتبس به من المعائب ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع ، واختلف المفسرون في معنى ﴿ممنون﴾ فقال أكثر المفسرين: هو الواهن المنقطع يقال: حبل ممنون ، أي ضعيف

(١) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر ج١ ص٢١٠، ٢١١ .

(٢) ينظر نظم الدرر ج٢٠ ص٢٩١ .

وقال آخرون معناه : غير ممنون عليك أي لا يكدره منٌّ به وقال مجاهد معناه : غير مُسَرَّد ولا محسوب محصّل ، أي بغير حساب. (١)

وقوله : ﴿ إن لك لأجر غير ممنون ﴾ وما بعده معطوفان على جملة جواب القسم فهما من جملة المقسم عليه. (٢)

وقد جاءت الجملة مؤكدة بإن واسمية الجملة واللام المزحلقة وتقدم المجرور لإثبات الخبر .

وكان فنّ المناسبة اللفظية قد تجسد في مسار العبارات في ألفاظ متزنات ومقفات بجرس صوتي واحد ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾ وبين ﴿مجنون﴾ و﴿ممنون﴾ جناس ناقص لاختلاف الحرف الثاني في الكلمتين. (٣)

وبعد أن آنس نفس رسول الله ﷺ بالوعد ، عاد إلى تسفيه قول الأعداء فحقق أنه متلبس بخلق عظيم وذلك ضد الجنون ، مؤكداً ذلك بثلاثة

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ج١٥ ص٢٧ وتفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢٦ ، والتحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٣ .

(٢) ينظر حاشية الجمل ج٤ ص٤٤٧ .

(٣) الجناس الناقص : هو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها ، ينظر بغية الإيضاح ص٦٤٣، وعلوم البلاغة للمراغي ص٣٥٦.

مؤكدات مثل مافي الجملة قبله لزيادتهم في المكابرة [1] ، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ هذه الجملة معطوفة على جواب القسم ، والخلق : طباع النفس وأكثر إطلاقه على طباع الخير إذا لم يتبع بنعت ، والعظيم : الرفيع القدر وهو مستعار من ضخامة الجسم ، وشاعت هذه الاستعارة حتى ساوت الحقيقة ، و(على) للاستعلاء المجازي ، والمراد به التمكن كقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾. [2] ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [5] .

وفي حديث عائشة : أنها سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن) أي ما تضمنه القرآن من إيقاع الفضائل والمكارم والنهي عن أضدادها ... وبهذا يزداد وضوحاً معنى التمكن الذي أفاده حرف

(١) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٣ ، ٦٤ بتصرف كبير .

(٢) سورة البقرة آية (٥) .

(٣) سورة النمل آية (٧٩) .

(٤) سورة الزخرف آية (٤٣) .

(٥) سورة الحج آية رقم (٦٧) .

الاستعلاء في قوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فهو متمكن من الخلق العظيم في نفسه ، ومتمكن منه في دعوته الدينية. (١)

وفي قوله تعالى : ﴿على خلق﴾ استعارة تصريحية تبعية في الحرف (على) حيث شبه التمكن من الأخلاق العظيمة الشريفة والثبوت عليها بمن علا دابة يصرفها كيف يشاء ، بجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف ، ثم استعير (على) من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية ، وقد صورت هذه الاستعارة مدى تمكنه ﷺ في الأخلاق العظيمة حتى صار كأنه فوقها ومستعلٍ عليها .

ولما أقسم سبحانه على نفي ما بهتوه به ، ودل على ما وهبه له من كمال العقل وتمام الشرف والنبل تصريحاً وتلويحاً فثبت غاية الثبات بإخبار العالم الحكيم ، دل عليه بالمشاهدة على وجه هو من أعلام النبوة للحكم على المستقبل فقال مبيناً عن صادق هذا الإخبار:

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ أي ستعلم يا أغلى الخلق وأكملهم وأشرفهم عن قريب بوعد لا خلف فيه ، علماً أنت في تحققه كالمبصر بالحس الباصر ،

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص ٦٣، ٦٤ بتصرف كبير ، ومعارج التفكر ج١ ص٢١٣، ٢١٤ .

﴿ويبصرون﴾ أي يعلم الذين رموك بالبهتان علماً هو كـذلك [1] أو أن هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر ، والفاء في ﴿فستبصر﴾ للتفريع على قوله : ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ باعتبار ما اقتضاه قوله ﴿بنعمة ربك﴾ من إبطال مقالة قيلت في شأنه ، قالها أعداؤه في الدين .. والمقصود هو ما في قوله ﴿ويبصرون﴾ ولكن أدمج فيه قوله ﴿فستبصر﴾ ليتأتى بـذكر الجانبين إيقاع كلام منصف (أي إلى الإنصاف) على طريقة قولـه : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [2] لأن القرآن يبلغ مسامعهم ويتلى عليهم .

والسين للتأكيد إذا كان معنى تبصر ويبصرون العلـم والاعتقـاد ، أو للاستقبال إذا كانتا بمعنى البصر الحسي وضمير يبصرون عائد إلى معلـوم مقدر عند السامع وهم المشركون القائلون هو مجنون [3] وجاء اسـتعمال السين في ﴿فستبصر﴾ للدلالة على المستقبل القريب في الدنيا ، ولو كان للمستقبل البعيد في الآخرة لكان المناسب استعمال حـرف التـسويف (سوف) وقد تحقق بفضل الله هذا ، فرأى الرسول والمؤمنون في العهـد

---

(١) ينظر نظم الدرر ج٢٠ ص٢٩٥ .

(٢) سورة سبأ آية (٢٤) .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٥ .

المدني كيف حلت بالكافرين الهزائم المنكرة ورأى الكـــافرون مـــسيرهم الذي وعد الله الرسول به ، وأوعدهم به ضمنا، لقد تضمن هذا الـــنص وعداً من الله لرسوله بأنه سيظفره وينصره على متهميه بالجنون (١) .

ولما كان ﷺ هو ومن معه فريقاً والأعداء فريقا ، وقد أبهم آخـــر الملـــك الضال في الفريقين قال:

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ (أي) اسم مبهم يتعرف بما يضاف هو إليـــه فقولـــه تعالى: ﴿بأيكم المفتون﴾ معناه: أي رجل أو أي فريق منكم المفتون فـــ (أي) في موقعه هنا اسم في موقع المفعول لـــ ﴿تبـــصر ويبـــصرون﴾ أو متعلقة به تعلق المجرور.

والمفتون : اسم مفعول ، وهو الذي أصابته فتنة ، فيجوز أن يراد بها هنـــا الجنون، فإن الجنون يعد في كلام العرب من قبيـــل الفتنـــه ، يقولـــون للمجنون فتنته الجن ، ويجوز أن يراد ما يصدق على المضطرب في أمره ، المفتون في عقله حيرة وتقلقلا بإيثار هذا اللفظ دون لفظ المجنـــون مـــن الكلام الموجه أو التورية ليصح فرضه للجانبين ، فـــإن لم يكـــن بعـــض المشركين بمنزلة المجانين الذين يندفعون إلى مقاومة النبي ﷺ بدون تبـــصر

---

(١) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر ج١ ص٢١٥ بتصرف كبير .

يكن في فتنة اضطراب أقواله وأفعاله ، كأبي جهل والوليد بـــن المغـــيرة وأضرابهما.

والباء على هذا الوجه لتأكيد تعلق الفعل بمفعوله ، والأصل: أيكم المفتون ، ويجوز أن تكون للظرفية ، والمعنى : في أي الفريقين منكم يوجد المجنون ، أي من يصدق عليه هذا الوصف فيكون تعريضاً بأبي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما من مدبري السوء على دهماء قريش بهذه الأقوال الـــشبيهة بأقوال المجانين ، ذلك أنهم وصفوا رجلاً معروفاً بين العقـــلاء مـــذكوراً برجاحة العقل فوصفوه بأنه مجنون فكانوا كمن زعم أن النهار ليـــل .. فهذا شبه بالمجنون ، ولذلك يجعل ﴿المفتون﴾ في الآية وصفاً ادعائياً علـــى طريقة التشبيه البليغ .

ويجوز أن يكون ﴿المفتون﴾ مصدراً على وزن المفعول مثل المعقول بمعـــنى العقل والمجلود بمعنى الجلد والميسور بمعنى اليسر والباء على هذا للملابـــسة في محل خبر مقدم على ﴿المفتون﴾ وهو مبتدأ ، أو أن الباء على أصلها من التعدية متعلقة بـــ ﴿يبصر ويبصرون﴾ (١) أو أن الكلام علـــى حـــذف

(١) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٦، ٦٧ ، وتفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢٩ ، والبحر المحيط ج٨ ص٣٠٩ ، وروح المعاني ج ٢٩ ص٢٥.

مضاف ، أي أيكم فتن المفتون ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وإليه ذهب الأخفش وتكون الباء سببية. (١)

وأقرب الأقوال إلى الصواب القول بأن الباء للظرفية ، والتقدير: بأي الفريقين فيكم يوجد المجنون ، دفعاً لما قيل من أن الخطاب لرسول الله ﷺ وجماعة قريش ، ولا يصح أن يقال لجماعة وواحد : في أيكم زيد ، وذكر صاحب الكشف أن هذا أوجه الأوجه ، لإفادته التعريض وسلامته عن استعمال النادر ، يعني زيادة الباء في المبتدأ وكون المصدر على زنة المفعول وإليه ذهب الفراء ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة : في أيكم. (٢)

وقال أبو عثمان المازني إن الكلام قد تم عند قوله تعالى : ﴿ويبصرون﴾ ثم استأنف قوله سبحانه : ﴿ بأيكم المفتون﴾ على أنه استفهام يراد به الترداد بين أمرين معلوم نفي الحكم عن أحدهما وتعين وجوده للآخر فالمؤمن ليس بمفتون ولا به فتون. (٣)

وعلى هذا يكون قد فُصِل بين قوله : ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ وقوله : ﴿ بأيكم المفتون ﴾ لشبه كمال الاتصال فالجملة الثانية قوية الصلة بالجملة

---

(١) ينظر الدر المصون ج٦ ص٣٥١ .

(٢) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٢٥ وحاشية زاده ج٣ ص٥٢٧ والمحرر الوجيز ج١٥ ص٢٩ ،٣٠ .

(٣) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣٠٩ وروح المعاني ج٢٩ ص٢٦ ، وحاشية زاده ج٣ ص٥٢٧ .

الأولى لوقوعها جواباً عن سؤال نشأ عنها فكأنه قيـــل : مـــاذا يـــصرو يبصرون .. ؟ فقال: بأيكم المفتون .

ولما كان هذا إخباراً بجنونهم المستلزم لضلالهم على هذا الوجه المتصف ، وكان مثل هذا قد يقع في محاورات الناس بضرب من الظـــن ، اســـتأنف تعالى ما هو كالتعليل لما أفاده السياق من هذا الحكم ، عليهم إعلاماً بأنه ناشيء عن علم قطعي لا مرية فيه بوجه ، فقال مؤكداً لأجل إنكـــارهم لأن يكون الأمر على ما أفاده ما تقدم. (١)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿إن ربك﴾ استئناف لبيان وتعليل ما قبله وتأكيد لما تضمنه الوعد والوعيد ، أي هو سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله وأعلم بالمهتدين إلى سبيله.(٢)

أو التقدير : إن ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون ، أو يكون وعداً ووعيـــداً وأنـــه سبحانه أعلم بجزاء الفريقين. (٣)

---

(١) ينظر نظم الدرر ج٢٠ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١٢ وروح المعاني ج٢٩ ص٢٦ .

(٣) ينظر الكشاف ج٤ ص١٢٦ ، ١٢٧.

فهو على الأول تذييل مؤكد لما رمز إليه في السابق من أن المفتون من عرفك به ، جار على أسلوب المؤكد في عدم التصريح ، ولكن على وجه أوضح ، فإن قوله تعالى: ﴿بأيكم المفتون﴾ لا تعيين فيه بوجه ، وهذا بدل هو أعلم بالمجنون وبالعاقل .. وعلى الثاني هو تذييل أيضاً ولكن على سبيل التصريح لأن ﴿بمن ضل﴾ أقيم مقام ﴿هم﴾ ، و﴿بالمهتدين﴾ أقيم مقام ﴿بكم﴾ ، وكان تقديم الوعيد ﴿أعلم بمن ضل﴾ ليتصل بما أشعر به أولاً ، والتعبير في جانب الضلال بالفعل ﴿ضلّ﴾ للإيماء بأنه خلاف ما تقتضيه الفطرة ، وتكرار هو أعلم لزيادة التقرير مع الإيذان باختلاف الجزاء. (١)

وقوله : ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ عطف على ﴿ هو أعلم ﴾ وهذا أبلغ من العطف على ﴿ بمن ضل ﴾ ، ولم يجيء : وبمن اهتدى لرعاية الفاصلة وبأن الاهتداء أمر ثابت له غير زائد مستحق للزوال ، وأما الضلال فأمر زائل أو معرض للزوال. (٢)

وقد أكدت هذه الجملة بعدت مؤكدات لتقرير مضمونها.

وكان الظاهر أن يقال : وهو أعلم بالمجانين والعقلاء ، لأنه هو المناسب لقوله : ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ إلا أنه وضع الضال والمهتدي مواضع

---

(١) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٢٦ .

(٢) ينظر حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ج١٩ ص٢٢٦ .

المجانين والعقلاء للدلالة على أن الضلال عن سبيله هو الجنون والاهتداء هو كمال العقل ، وإشعاراً بأن المجنون في الحقيقة هو من عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من أطاع ربه واتبع سبيله. (١)

ولما كان من طبع البشر أن الحليم منهم الرزين إذا اشتد عليه الأذى ممن لم تجر العادة بأن مثله يطيق مثلهم قاربهم ولاينهم فيما وقع الخلاف بسببه بعض المقاربة قال سبحانه إلهابا وتهييجاً على الثبات على معاصاتهم ، وهو خطاب له ﷺ والمراد أمته ، ليكون ذلك أبلغ في سماعهم .

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾

نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه إلى أن يكف عنهم ليكفوا عنه أو أرادوه أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم فبين الله تعالى أن ممايلتهم كفر، وقد نزلت في مشركي قريش حين دعوه إلى دين آبائه. (٢)

والفاء لترتيب النهي على ما ينبيء عنه ما قبله من اهتدائه ﷺ وضلالهم ، أو على جميع ما فصّل من أول السورة ، والنهي هنا خرج عن حقيقته إلى غرض بلاغي آخر هو التهييج والإلهاب للتصميم على معاصاتهم ، فقد

---

(١) ينظر حاشية الشهاب ج٨ ص٢٢٨ وحاشية زاده ج٣ ص٥٢٧ .

(٢) ينظر تفسير القرطبي ج١٧ ص٢٣٠ والكشاف ج٤ ص ١٢٧ .

نهى ﷺ عن إطاعتهم وهو أمر لم يقع منه ولا يتصور لكن المراد حثه على تصميمه في عزمه ومعاصاهم ، أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك ، وجوز أن يكون نهيا عن مداهنتهم ومداراقم بإظهار خلاف ما في ضميره ﷺ استحلاباً لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة ، وينبىء عنه قوله تعالى : ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ ، لأنه تعليل للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في التنفير. (1)

ومعنى ﴿لو تدهن﴾ لو تلين وتصانع ﴿فيدهنون﴾ فيلينون ويصانعون ، و﴿لو﴾ يحتمل أن يكون شرطيا ويكون فعل (تدهن) شرطا ، وان يكون جواب الشرط محذوف ويكون التقدير : لو تدهن لحصل لهم ما يودون أولسروا بذلك ، ويحتمل أن يكون حرفاً مصدرياً على رأي طائفة من علماء العربية من أن (لو) يأتي حرفاً مصدرياً مثل (أن) وقد قال بذلك الفراء والفارسي والتبريزي وابن ماللك فيكون التقدير : ودوا إدهانك ، ومفعول ﴿ودوا﴾ محذوف دل عليه ﴿لو تدهن﴾ والتقدير : أن تداهنهم أو إدهانكم ، أو المصدر بناءً على أن لو تقع حرفاً مصدرياً .

والفاء في ﴿فيدهنون﴾ للعطف والتسبب عن جملة ﴿لو تدهن﴾ جواباً لمعنى التمني المدلول عليه بفعل ﴿ودوا﴾ بأن قصد بيان سبب ودادتهم

---

(1) ينظر تفسير البيضاوي ج2 ص 273 ، وحاشية الشهاب ج8 ص228 وتفسير أبي السعود ج9 ص 12،

13 وروح المعاني ج29 ص 26 .

ذلك ، فلذلك لم ينصب الفعل بعد الفاء بإضمار (أن) لأن فاء التسبب كافية في إفادة ذلك ، فالكلام بتقدير مبتدأ محذوف تقديره: فهم يدهنون ، وسلك هذا الأسلوب ليكون الاسم المقدر مقدماً على الخبر الفعلي فيفيد معنى الاختصاص أي فالإدهان منهم لا منك. (١)

وفي بعض المصاحف: فيدهنوا، على أنه جواب التمني المفهوم من: ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادهم.(٢)

ولما نهاه عن طاعة المكذب وعلله وكان من الناس من يخفى تكذيبه قال ناصباً علامات للكذب .

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾

ويقول الفخر الرازي مبيناً المناسبة بين الآيات وما تقدمها : (اعلم أنه تعالى لما نهاه عن طاعة المكذبين وهذا يتناول النهي عن طاعة جميع الكفار

---

(١) ينظر الكشاف ج٤ ص ١٢٧ والبحر المحيط ج٨ ص ٣٠٩ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٩، ٧٠ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١٣ .

إلا أنه أعاد النهي عن طاعة من كان من الكفار موصوفا بصفات مذمومة وراء الكفر وتلك الصفات هي هذه ولا تطع كل حلاف ...). (١)

وهذه الأوصاف من قوله : ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ .. إلى قولــه : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة وعليه جمهور المفسرين ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنه قال ابن عباس : لا نعلم أن الله وصــف أحداً بما وصفه به ، ولما نزلت الآية قال لأمه : إن محمداً وصفني بتــسع صفات أعرفها غير التاسع منها فإن لم تصدقيني الخبر ضــربت عنقــك ، فقالت إن أباك عنين فخفت على المال فمكنت الراعي من نفسي فأنــت منه ، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية ، وقيل نزلت في الأسود بن عبد يغوث وقيل في الأخنس بن شريق وقيــل في أبي جهــل والــراجح الأول. (٢)

وأعاد فعل النهي عن الطاعة ﴿ ولا تطع ﴾ لمن هذه صفاتهم للاهتمام بهذا الأدب ، فلم يكتف بدخول أصحاب هذه الأوصاف في عموم المكذبين ، ولا بتخصيصهم بالذكر بمجرد عطف الخاص على العام بأن يقــال: ولا كل حلاف ، بل جئ في جانبهم بصيغة نهي أخرى مماثلة للأولى ولتفيــد

---

(١) تفسير الفخر ج٣٠ ص ٨٣ .

(٢) ينظر الكشاف ج٤ ص ١٢٧ وروح المعاني ج٢٩ ص٢٨ وحاشية الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٢١ وغير ذلك .

تسليط الوعيد الخاص على أصحاب هذه الصفات الخاصة زيادة على وعيد المكذبين.[1]

فقوله : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ ... بعد قوله : ﴿ ولا تطع المكذبين ﴾ من عطف الخاص على العام ؛ لأن بعض هذه الصفات داخلة في عموم المكذبين ، ولكن أعاد ذكرهم مرة أخرى في عنوان خاص مبالغة في التحذير من هذه الطائفة ؛ إذ لديها القدرة على المخادعة والمداهنة وستر هوياتها بحلف الأيمان الكواذب والطعن من الخلف بالهمز واللمز والنميمة.

وتقديم وصف ﴿حلاف﴾ على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر[2]

وكلمة ﴿كل﴾ موضوعة لإفادة الشمول والإحاطة لأفراد الاسم الذي تضاف هي إليه ؛ فهي تفيد النهي العام عن طاعة كل فرد من أفراد أصحاب هذه الصفات التي أضيفت إليها كل بالمباشرة وبالنعوت .

والنهي هنا ﴿ولا تطع كل حلاف ...﴾ خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي هو التهييج والإلهاب : أي دم على ما أنت عليه من عدم الطاعة . [3]

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٨-٧٥ بتصرف كبير .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص٩-١٣ .

(٣) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٢٧ وحاشية الشهاب ج٨ ص٢٢٨ وحاشية القونوي ج١٩ ص٢٢٨ .

و﴿حلاف﴾ أي كثير الحلف في الحق والباطل ، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ، وهو على وزن فعَّال صيغة مبالغة ،كناية عن عدم المبالاة بالكذب والأيمان الفاجرة .

﴿مهين﴾ صفة مشبهة ، وهي فعيل بمعنى فاعل وهو الفاجر الحقير .

﴿هماز﴾ مبالغة من الهمز ، وهو في اللغة الضرب طعناً باليد والعصا ونحوهما ، واستعير للعيّاب الذي يعيب على الناس كأنه يضربهم بيده وشاع ذلك حتى صار كالحقيقة .

والمشاء : فعَّال مبالغة من المشي ،أي أنه كثير السعاية بين الناس ، ووصفه بالمشي للمبالغة في الفعل ، إذ يتجشم المشقة لأجل النميمة ،لأن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعاً في تصوير السامع من أسماء المعقولات ، فذكر المشي بالنميمة فيه تصوير لحال النمام .

﴿ نميم ﴾ والنميم قيل : مصدر كالنميمة ،وقيل هو جمعها ،أي اسم جنس كتمرة وتمر ، وهو نقل الكلام الذي يسوء سامعه ويحرّش بين الناس وقال الزمخشري : والنميم والنميمة السعاية .

﴿ مناع للخير ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ، أو مناع أهله الخير وهو الإسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال :مناع من الخير .

﴿ معتد ﴾ ظالم ، ﴿ أثيم ﴾ آثم ، ﴿ والعتل ﴾ الذي يعتل الناس أي يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب ،وقيل : العتل : الشديد الخصومة ، وقيل : الغليظ الجاف .

و﴿ الزنيم ﴾ الذي ينسب إلى قوم وليس منهم وأصله من الزنمة وهي ما بقي من جلد الماعزة معلقاً في حلقها يترك عند القطع فاستعير للدعي لأنه كالمعلق بما ليس منه ، ﴿ بعد ذلك ﴾ أي بعد ما وصفناه به أو بعد ما ذكر من المثالب والنقائص .[1]

و﴿بعد﴾ هنا كثم الدالة على التفاوت الرتبي فتدل على أن ما بعدها أعظم في القباحة .

وموقع (بعد ذلك) موقع الجملة المعترضة والظرف خبر لمحذوف تقديره : هو بعد ذلك ويجوز اتصال : (بعد ذلك) بقوله : (زنيم) على أنه حال من (زنيم) .[2]

وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة ونوسب فيها ، فجاء حلاف وبعده مهين لأن النون فيها مع الميم تواخ ، ثم جاء هماز مشاء بنميم

---

(١) ينظر تفسير الفخر ج٣٠ ص٨٣ – ٨٥والدر المصون ج٦ ص٢٥١ وحاشية زادة ج٣ ص٥٢٧ وروح المعاني ج٢٩ ص٢٧والتحرير والتنوير ج٢٩ ص٦٨-٧٥.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٧٤-٧٥ .

بصفتي المبالغة ، ثم جاء مناع للخير معتد أثيم صفتا مبالغة فكـــل صـــفة ناسبت ما قبلها وما بعدها[1]

ثم أنه تعالى بعد تقدير هذه الصفات قال : ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

قوله : ﴿ أن كان ذا مال وبنين ﴾ يجوز أن يكون متعلقاً بما قبله وأن يكون متعلقاً بما بعده ، أما الأول فتقديره : ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين ،أي لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وأولاده وكثرته ، وأما الثاني :فتقديره : لأجل أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، على تقدير لام العلة محذوفة قبل أن وهو حذف مطرد .
وقرئ : (أأن كان) على الاستفهام وهو استفهام إنكـــاري تـــوبيخي والتقدير : أن كان ذا مال كذب ، أو : أتطيعه لأن كان ذا مال (٢)
وقرئ (أئذا تتلى) على الاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ (٣) علـــى قوله القرآن أساطير الأولين لما تليت عليه آيات الله وأساطير تأتي في اللغة بمعنيين أباطيل ، وتأتي بمعنى مكتوبات الأولين ومسطوراتهم.

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣٠٩-٣١٠ بتصرف .

(٢) ينظر تفسير الفخر ج٣٠ ص٨٥-٨٦ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص ٧٦ وغير ذلك .

(٣) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣١١ والدر المصون ج٦ ص٣٥٣-٣٥٤ .

ولما ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد فقال : ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴾ فصل بين قوله : ﴿سنسمه على الخرطوم ﴾ ، وبين الجملة السابقة لشبه كمال الاتصال ، لأن الجملة الثانية قوية الصلة بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال ينشأ عن الجملة الأولى فكأن السامع يسأل : ما جزاء أصحاب هذه الصفات من الله على ما أتوه من القبائح والاجتراء على ربهم ؟

والوسم اسم الكية وما يشبهها يقال : وسمته فهو موسوم بسمة يعرف بها ، إما كية وإما قطع في أذنه علامة له.

وضمير المفرد الغائب في قوله : ﴿ سنسمه ﴾ عائد إلى كل حلاف باعتبار لفظه ، وإن كان معناه الجماعات ، فإفراد ضميره كإفراد ما أضيف إليه كل من الصفات التي جاءت بحالة الإفراد والمعنى : سنسم كل هؤلاء على الخراطيم ، والخرطوم أريد به الأنف ، والظاهر أن حقيقة الخرطوم الأنف المستطيل كأنف الفيل والخنزير ونحوهما من كل أنف مستطيل ، وهو يستعمل حقيقة ومجازاً ، وجزم ابن عطية [1] أن حقيقة الخرطوم مخطم السبع أي أنفه مثل الأسد فإطلاق الخرطوم على أنف الإنسان هنا استعارة لغوية كإطلاق المشفر وهو شفة البعير على شفة

(١) ينظر المحرر الوجيز ج١٥ ص٢٣٦-٢٣٧ .

الإنسان ، وكإطلاق الجحفلة على شفة الإنسان وهي للخيل والبغال والحمير.(١)

وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفراء : يسود وجهه قبل دخوله النار، وذكر الخرطوم والمراد الوجه لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض (٢)، وعلى ذلك يكون هذا التعبير من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الجزئية فقد ذكر الجزء وهو الأنف وأراد الكل وهو الوجه.

فالوسم تمثيل تتبعه كناية عن التمكن منه وإظهار عجزه ، وذكر الخرطوم فيه جمع بين التشويه والإهانة فإن الوسم يقتضي التمكن ، وكونه في الوجه إذلالا وإهانة ، وكونه على الأنف أشد إذلالا، فما أراه راجحا أن هذا التعبير ﴿سنسمه على الخرطوم ﴾ كناية على مهانته وإظهاره في أحط دركات الذل والاحتقار ،إذ لما كان الوجه أشرف وأرفع ما في المخلوق ، والأنف أسمى ما في الوجه ،لأنه مكان العزة و موضع الحمية اشتقوا منه (الأنفة) فقالوا : في أوصافهم لبعض أصحاب المنعة : " حمي الأنف ، شامخ العرانين " ووصفوا الذليل بأنه " جدع أنفه " ورغم انفه قمنا بكذا فعل ، ناهيك عن غاية الإذلال التي قصدها الله سبحانه إذ استبلده واستنقصه فصيره (كالبهيمة) التي لا تملك الدفاع

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ٢٩ ص٧٦-٧٨ .

(٢) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣١١ .

عن وسمها في أنفها ، فإذا كان في ذلك الأمر ما يشين الحيوان ، فما عساه أن يكون في أنف الإنسان الذي هو أكرم عضو في دلالته الخلقية والخلقية والاعتبار المكاني السامي في وجوده.[1]

---

(1) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٧٦-٧٨ وفن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية د/حميد آدم ثويني ص٢٩٤ ط دار الصفا للنشر والتوزيع عمان الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

ثانياً : البلاغة القرآنية في الفقرة الثانية الآيات (١٧-٣٢)

(قصة أصحاب الجنة)

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول أبو حيان مبيناً مناسبة هذه الآيات لما قبلها : (ولما ذكر المتصف بتلك الأوصاف الذميمة وهم كفار قريش أخبر تعالى بما حل بهم من

الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ : اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف) [1]

ويقول الفخر : (اعلم أنه تعالى لما قال لأجل أن كان ذا مال وبنين جحد وكفر وعصى وتمرد ، وكان هذا استفهاما على سبيل الإنكار ، بين في هذه الآية أنه تعالى إنما أعطاه المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان ، وليصرفه إلى طاعة الله ،وليواظب على شكر نعم الله ، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالى يقطع عنه تلك النعم ويصب عليه أنواع البلاء والآفات فقال : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة... ﴾)[2]

البلوى : حقيقتها الاختبار تقول :بلي الثوب أي خلق ورث ، وبلوته اختبرته ، كأني اخلقته من كثرة اختباري له.[3]

والضمير في ﴿ بلوناهم ﴾ يعود على المتحدث عنهم في السورة وهم كبراء كفار مكة وأهل السيادة فيهم ، وجاء في العبارة استعمال ضمير المتكلم المعظم ﴿ إنا ﴾ للإشعار بعزة الله وقدرته وحكمته وعظمته فهو بمقتضاها يبلو ويجزي فتربوا المهابة منه .

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٣١١ .

(٢) تفسير الفخر ج٣٠ ص٨٧ .

(٣) ينظر اللسان مادة (بلي) .

والكاف في ﴿كما﴾ في موضع نصب صفة لمصدر محذوف أي بلوناهم ابتلاء كما بلونا ، وما مصدرية وقيل بمعنى الذي أي كالبلاء الذي بلوناه أصحاب الجنة.(١)

والمعنى أي كلفنا هؤلاء أن يشكروا على النعم كما كلفنا أصحاب الجنة ذات الثمار أن يشكروا ويعطوا الفقراء حقهم .

وأل في ﴿الجنة﴾ إما للعهد فهي جنة معهودة معروفة ، وقيل كانت في (ضروان) على بعد ستة أميال من صنعاء باليمن ، أو أن التعريف للكمال أي الجنة الكاملة في إعداد ما يلزم لها ، وأما ذكر أسمائهم وموطن إقامتهم وتاريخ وجودهم فليس مما يتعلق به غرض فلم يوجه له النص عناية ما .

وقوله : ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ جملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً فإن الازدهاء والغرور وسعة الرزق قد أوقعا من قديم الزمان أصحابهما في بطر النعمة ، وإهمال الشكر فجر ذلك عليهم شر العواقب ،فضرب الله للمشركين مثلاً بحال أصحاب هذه الجنة لعلهم يستفيقوا من غفلتهم وغرورهم.(٢)

---

(١) ينظر الدر المصون ج٦ ص٣٤٤-٣٤٥ والبحر المحيط ج٨ ص٣١١ وروح المعاني ج٢٩ص٢٩ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٧٩ .

وفي قوله : ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ استعارة تمثيلية رائعة ، فقد شبه حال هؤلاء المشركين الذين اغتروا بسعة الرزق ولم يشكروا الله على هذه النعمة فنزل بهم ما نزل من القحط والجدب ، بحال أصحاب الجنة الذين أقسموا ليقطعن ثمرها ولا يعطوا منه شيئاً لفقير ولا لمسكين ، كما كان يفعل والدهم ، فأرسل الله عليها ناراً فاحترقت وأصبحت كالليل المظلم ، ووجه المشابهة بين الحالين هو الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته والبطر بالنعمة والاغترار بالقوة .

وهذا التمثيل تعريض بالتهديد بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم ،والقحط بعد الخصب وإن اختلف السبب في نوعه فقد اتحد في جنسه ، وقد حصل ذلك بعد سنين إذ أخذهم الله بسبع سنين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (1).

﴿ إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾ إذ في محل نصب معمول لبلوناهم ومعنى ﴿ ليصرمنها ﴾ ليقطعن ثمر نخيلهم ،فالصرم قطع الثمر وجذاذه ، يقال : قد صرم العذق عن النخلة وأصرم النخل إذا حان وقت صرامه(2) والذين أقسموا معظمهم لا كلهم ، لأن أوسطهم نهاهم عن ذلك ، وأكد

---

(1) ينظر التحرير والتنوير ج29 ص79 .

(2) ينظر تفسير الفخر ج30 ص87 .

الفعل باللام والنون الثقيلة لزيادة تأكيد ما يريدون ، والتعبير بالمضارع لاستحضار حالتهم العجيبة في بخلهم على الفقراء والأيتام .

وقوله : ﴿ ليصرمنها ﴾ جواب القسم لا على منطوقهم إذ لو كان على منطوقهم لكان : لنصرمنها بنون المتكلمين ، وكلا الأمرين جائز في مثله.(١)

و﴿ مصبحين ﴾ حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أي : داخلين في الصباح .

﴿ ولا يستثنون ﴾ جملة مستأنفة ،أي وشأنهم ذلك ، وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى ،لأن المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالاً مقروناً بالواو إلا بإضمار مبتدأ وفيه كلفة.(٢)

والظاهر عطف ﴿ ولا يستثنون ﴾ على أقسموا فهو داخل في المقسم عليه أي أقسموا على أمرين ، ليصرمنها لأنفسهم ،ولا يستثنون شيئاً للفقراء والمساكين وهذا أولى من اعتبار ﴿ ولا يستثنون ﴾ جملة مستأنفة أو جملة حالية جاءت مقترنة بواو الحال على خلاف القاعدة التي تقتضي عدم دخول واو الحال على المضارع المنفي بـ (لا) أو بـ (ما) . فمقتضى الظاهر وما استثنوا ،وكأنه إنما عدل عنه إليه استحضاراً للصورة لما فيها

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣١١-٣١٢ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٠٢ وحاشية الجمل ج٤ ص٤٥٠ .

(٢) ينظر حاشية الصاوي ج٣ ص٢٢٢ .

من نوع غرابة ،لأن اللائق في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء ، أو أن في العدول إلى المضارع نوع تعبير وتنبيه على مكان خطئهم.(١)

ومعنى ﴿ لا يستثنون ﴾ أي أنهم لا يستثنون من الثمر شيئاً للمساكين أي أقسموا ليصرمن جميع الثمر ولا يتركون منه شيئاً ، وهـذا التعميم مستفاد مما في الصرم من معنى الخزن والانتفاع بالثمر وإلا فإن الصرم لا ينافي إعطاء شيء من المجذوذه لمن يريدون ، وأجمل ذلك اعتماداً على ما هو معلوم للسامعين من تفصيل هذه القصة على عادة القرآن في إيجاز حكاية القصص بالاقتصار على موضوع العبرة منها.(٢)

وقيل : معناه لا يستثنون عزمهم على حرمان المساكين ،وقيل معناه :ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعل أبوهم ، وقيل معناه : لا يقولون إن شاء الله ،وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث إن مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك : لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله بمعنى واحد. (٣)

---

(١) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٣٠ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨١ .

(٣) ينظر الكشاف ج٤ ص١٢٨ و تفسير أبي السعود ج٩ ص١٤ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص٨١ .

وعلى هذا التفسير يكون قوله تعالى : ﴿ ولا يستثنون ﴾ من قبيل الإدماج[1] لأنه سبحانه وتعالى ضمن قطعهم لثمار جنتهم وعدم بقاء شيء منها للمساكين عدم المشيئة أي : لمبلغ غرورهم بقوة أنفسهم صاروا إذا عزموا على فعل شيء لا يتوقعون له عائقاً [2]

كما جاء في قول أبي الطيب في وصف الليل :

أقلب فيه أجفاني كأني   أعد بها على الدهر الذنوبا [3]

ثم بين سبحانه ما ترتب على هذا القسم الذي لم يقصد به الخير وإنما قصد به الشر فقال : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ أي أحاط بها من جميع جوانبها والطواف المشي حول الشيء من كل جوانبه يقال : طاف بالكعبة ، وعدى طائف ، بحرف (على) دون (الباء) لتضمنه معنى تسلط أو نزل.[4]

---

(1) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨١ والإدماج هو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر : بغية الإيضاح ٦٢٦ ، ٦٢٧.

(2) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨١ بتصرف كبير .

(3) ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي ج١ ص٢٥٦ نشر دار الكتاب العربي بيروت طبعة ١٩٨٠م .

(4) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨١ .

وهذا من البلاغة العالية ،لأنك ترى اختلاف حرف التعدية يبعث في الفعل معنى آخر جديداً مستعلياً على من يدفعه (١)، وكان ابـــن رشـــيق يقول : "إن إتقان الكلام يرجع إلى مثل هذا أكثر مما يرجـــع إلى حـــسن الاستعارة ، وديباجة المقابلة ،ونضارة الجناس " (٢)

ونكر ﴿طائف﴾ لظهور أنه من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك ، ولا يتعلق غرض بتعيين نوعه لأن العبرة في الحاصل به ، فإسناد فعل ﴿طاف﴾ إلى ﴿طائف﴾ بمنزلة إسناد الفعل المبني للمجهول ، كأنه قيل : فطيـــف عليها وهم نائمون ، وتنوين ﴿طائف﴾ للتعظيم ،أي أمر عظيم وقد بينه بقوله : ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ فهو طائف سوء.(٣)

وفي قوله تعالى : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك ﴾ اســـتعارة تمثيليـــة : حيث شبه سبحانه حالة إحاطة أمر الله لتلك الجنة بحال من يطوف بمكان بجامع الإحاطة في كل ،ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمـــشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، وقد امتازت هـــذه الاســـتعارة بحـــسن

---

(١) ينظر من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنات د/عبدالغفار يونس صديق ص٥٦ .

(٢) العمدة في محاسن الشرع وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني تحقيق الشيخ محمد محي الـــدين عبدالحميـــد ج٢ ص٢٥ ط دار الجيل بيروت.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨١-٨٢ بتصرف .

التصوير والتركيب ، وقد زادها جمالاً مراعاة حسن التشبيه الذي بنيت عليه ،فهي مبنية على تشبيه قد روعيت فيه الدقة ،لأنها مبنية على تشبيه تمثيلي ، والتشبيه التمثيلي في أعلى مراتب التشبيه لاحتياجه إلى إلطاف الروية ، وإعمال الفكر وتحريك الذهن .

ومراعاة حسن التشبيه الذي تنبني عليه الاستعارة في القرآن الكريم من إحدى الخصائص الفنية التي جعلت الاستعارة في القرآن الكريم تتربع على عرش الجمال وتمتطي صهوة الحسن والكمال.(١)

هذا وقد زاد هذا الجمال جمالاً هذا الجناس الاشتقاقي أو ما يلحق به للاتفاق في أصل المعنى بين ﴿طاف﴾ و ﴿طائف﴾ .

فهذا الجناس معجز في تحقيقه للغرض المطلوب ومعجز في نظمه ومعجز في اختيار لفظه ،فلو وضع أمر أو عذاب ربك مكان طائف لما أدى ما أداه طائف ،من زيادة تأكيد المعنى المطلوب وهو أن هذا الطائف قد أحاط بتلك الجنة من جميع جوانبها.(٢)

وعبر بالطواف عن الإرسال للمبالغة في الإحراق والإحاطة بجميع جوانب الجنة كالطواف .

---

(١) بحوث في البيان أ.د.محمود السيد شيخون ص٩٨ .

(٢) ينظر من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنات ص٥٧-٥٨ بتصرف .

وقد عطفت هذه الجملة بالفاء الدالة على السرعة والحسم السريع لتلك القضية بلا تراخ زمني .

﴿ من ربك ﴾ إي من عذاب ربك ،أو جائياً من ربك فـ (من) للابتداء .

و﴿ من ربك ﴾ يجوز أن يتعلق بطائف ، أو يتعلق بمحذوف صفة لطائف أي بلاء محيط من ربك أو آت من ربك .

والتقييد بكونه من الرب عز وجل لإفادة أنه بلاء لا قبل لأحد من الخلق بدفعه ، وقوله:﴿وهم نائمون ﴾ حال وأفاد التقييد به تصوير حالهم .

﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ أي كالمصروم لهلاك ثمرها ، وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت ، وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها و لم يبق شيء فيها ، من قولهم : بيض الإناء إذا فرغ ، وقيل الصريم الرمال يقول الفخر الرازي ذاكراً هذه المعاني وصلاحيتها لأن تراد في الآية : (اعلم أن الصريم فعيل ،فيحتمل أن يكون بمعنى مفعول وأن يكون بمعنى الفاعل ، و ههنا احتمالات : أحدها : أنها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك التمر وإن حصل الاختلاف في أمور أخر ،فإن الأشجار إذا احترقت فإنها لاتشبه الأشجار التي قطعت ثمارها إلا أن هذا الاختلاف وإن حصل من هذا الوجه لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة .

وثانيها: قال الحسن : أي صرم عنها الخير فليس فيها شيء ، وعلى هذين الوجهين الصريم بمعنى المصروم .

وثالثها: الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه الصرائم ،وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال ، وهي لا تنبت شيئاً ينتفع به .

ورابعها : الصبح يسمى صريماً لأنه انصرم من الليل ، والمعنى : أن تلك الجنة يبست وذهبت خضرتها و لم يبق فيها شيء من قولهم : بيض الإناء إذا فرغ .

وخامسها : أنها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم ،والليل يسمى صريماً وكذا النهار يسمى أيضاً صريماً ، لأن كل واحد منهما ينصرم بالآخر وهذا الصريم بمعنى الصارم ، وقال قوم : سمي الليل صريماً لأنه يقطع بظلمته عن التصرف ، وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل.[1]

هذا ولكثرة معاني هذه الكلمة وصلاحية كل هذه المعاني لأن تراد في الآية أوثرت على غيرها من الألفاظ التي تؤدي معناها .

وقد ورد من معاني الصريم : وقت انصرام الليل من النهار ، فتطابق في معناه مع معنى لفظة ﴿أصبحت﴾ في طباق حسن ، ليدلك سبحانه

(١) تفسير الفخر ج٣٠ص٨٨ .

على انبلاج الفجر ، إذ يمضون إلى جنتهم وهم متمسكون ومصرون على خفض أصواتهم إلى مستوى الإشارة والإيماء لكي لا ينبهوا أحد الفقراء .

وبين ﴿يصرمنها والصريم﴾ جناس ، وقد أفاد هذا الجناس تهويل الحدث وتصوير شدة وقعه عليهم .

وقد عجل العقاب لهم قبل التلبس بمنع الصدقة ، لأن عزمهم على المنع وتقاسمهم عليه حقق أنهم مانعون صدقاتهم ، فكانوا مانعين ، ويؤخذ من الآية موعظة للذين لا يواسون بأموالهم وإذ كان عقاب أصحاب هذه الجنة دنيوياً لم يكن في الآية ما يدل على أن أصحاب الجنة منعوا صدقة واجبة". (١)

ويصور الله سبحانه وتعالى حركاتهم ومشاعرهم وقد خرجوا لينفذوا ما عزموا عليه فيقول:﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ .

الفاء للتفريع على ﴿ أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾ فقوله: ﴿ فتنادوا ﴾ معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض لبيان ما نزل بتلك الجنة ، و﴿ مصبحين ﴾ حال(٢) وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح ، أي

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨٢ .

(٢) ينظر حاشية الجمل ج٤ ص٤٥١.

فلما أصبحوا تنادوا لإنجاز ما بيتوا عليه أمرهم ، والتنـــادي أن ينـــادي بعضهم بعضاً وهو مشعر بالتحريض على الغدو إلى جنتهم مبكرين[1]

﴿ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴾ يجـــوز أن تكـــون أن مصدرية أي : تنادوا بهذا الكلام ، وأن تكون مفسرة لأنه تقدمها ما هو بمعنى القول دون حرفه وهو النداء ، وتعدية ﴿اغدوا﴾ بـــ(علـــى) دون (إلى) لتضمنه معنى الإقبال أو الاستيلاء.[2]

أو عدي بـــ على لإفادة تمكن الوصول إليه كأنه قيل : اغدوا تكونوا على حرثكم أي مستقرين عليه ، ويجوز أن يضمن فعـــل الغـــدو معـــنى الإقبال ، كما يقال : يغدى عليه بالجفنة ويراح .[3]

يقول الزمخشري مبيناً ذلك : (فإن قلت : هلا قيل اغدوا إلى حرثكم ، وما معنى على : قلت : لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدواً عليه كما تقول :غدا عليهم العدو ،ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبـــال كقولهم : يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين).[4]

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨٢-٨٣ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ج ٩ ص١٥ .

(٣) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٣٠ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص ٨٣ .

(٤) الكشاف ج ٤ ص١٢٩ .

وعليه فتكون الآية من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية أو الاستعارة التمثيلية. (١)

فعلى كونها من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية نقول : شبه غدوهم لقطع الثمار بغدو الجيش للإغارة على شيء بجامع الاستيلاء والاستعلاء في كل ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه .

أما على كونها من قبيل الاستعارة التمثيلية نقول : شبه حالة غدوهم إلى جنتهم لقطع ثمارها بحالة غدو الجيش للإغارة على شيء بجامع الاستيلاء والاستعلاء في كل ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

والحرث شق الأرض بحديدة ونحوها ليوضع فيها الزريعة أو الشجرة وليزال منها العشب ، ويطلق الحرث على الجنة لأنهم يتعاهدونها بالحرث لإصلاح شجرها.(٢)

﴿إن كنتم صارمين﴾ إن شرطية وجواب الشرط محذوف تقديره فاغدوا ،أي إن كنتم قاصدين للصرم وقطع الثمار فاغدوا ، وحذف لدلالة ما قبله عليه .

---

(١) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٣٠ وحاشية القونوي ج١٩ ص٢٣٤ وحاشية الشهاب ج٨ ص٢٣٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨٣ .

وقيل : إنه من صرام النخيل ، وقيل : يحتمل أن يريد إن كنتم أهـــل عزم وإقدام على رأيكم من قولك : سيف صارم ، فهو ليس شرط تعليق ولكنه مستعمل في الاستبطاء ، فكأنهم لإبطاء بعضهم في الغدو قد عـــدل عن الجذاذ ذلك اليوم ، ومنهم قول عبد الله بن عمر للحجاج عند زوال عرفة يحرضه على التهجير بالرواح إلى الموقف : (الرواح إن كنت تريـــد السنة).(١)

وعبر عن إسراعهم إلى الذهاب بقوله : ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ أي يتسارّون فيما بينهم بطريقة المخافتة ، وخفى وخفت وخفد ثلاثتـــها في معنى كتم ، ومنه الخفدود للخفاش والخفود للناقة التي تلقى ولدها قبل أن يستبين خلقه. (٢)

وجملة(وهم يتخافتون) حالية من فاعل انطلقوا وجملة ﴿فـــانطلقوا﴾ معطوفة على ﴿فتنادوا﴾ .

﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مـــسكين﴾ جملـــة تفـــسيرية لجملـــة ﴿يتخافتون﴾ لأنه : أي : التخافت فيه معنى القول دون حروفه ، فـــأن مفسرة ، وقيل : إنها مصدرية أي يتخافتون بهذا الكـــلام أي : يقـــول : بعضهم لبعض.

---

(١) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣١٢ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص ٨٣ .

(٢) ينظر تفسير الفخر ج٣٠ ص٨٩ وروح المعاني ج٢٩ ص٣١ .

وقرأ ابن مسعود بطرحها إما على إضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها ، وإما على إجراء يتخافتون مجراه ، وهذا يؤيد كونها مفسرية.(١)

وأكد فعل النهي بنون التوكيد لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه ، وفي إسناده إلى ﴿مسكين﴾ كناية عن نهي بعضهم بعضاً عن تمكين المساكين من الدخول إلى جنتهم لأن أصل الكلام : لا تدخلوها مسكين كقولهم : لا أرينك ههنا ، ولا أعرفنك تفعل كذا ، فإن رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده ، كما أن دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم إياهم من الدخول ، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم على سبيل الكناية التي هي أبلغ من التصريح ، لأنه انتقاء اللازم يدل على انتقاء الملزوم ولا يخفى أن ذكر الشيء بدليله أبلغ من مجرد ذكره.(٢)

وقد طوى من السياق بعض الجمل لدلالة الكلام عليها والتقدير: فقال لهم أوسطهم سناً وخيرهم نفساً وأعدلهم طبعاً بما يدل على ما يأتي :

---

(١) ينظر الكشاف ج٤ ص١٢٩ والبحر المحيط ج٨ ص٣١٢ والدر المصون ج٢٠ ص ٣١٠ -٣١١ وغير ذلك

(٢) ينظر حاشية زاده ج٣ ص ٥٣٠ وحاشية الشهاب ج٨ ص٢٣٠وتفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨٣ .

لا تقولوا هكذا واصنعوا من الإحسان ما كان يصنع أبوكم ، وكأنه طواه سبحانه لأنه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيئاً.(١)

وأكد كون الانطلاق حال الإصباح بقوله : ﴿ وغدوا علـى حـرد قادرين ﴾ وهي جملة في موضع الحال بتقدير قد، لأن الماضي لا يقع حالاً إلا مع قد ظاهرة أو مقدرة. (٢) حتى تقرب الماضي من زمن الحـال ، أي انطلقوا في حال كونهم غادين قادرين على حرد .

وذكر الفعل ﴿ غدوا ﴾ في جملة الحال لقصد التعجب من ذلك الغدو النحس.

وقد ذكر العلماء (٣) كثيراً من المعاني لكلمة ﴿ حرد ﴾ وما أريد بهـا في الآية نذكر منها ما يأتي :

١. الحرد المنع يقال حاردت السنة إذا قل مطرها ، ومنعت ريعهـا ، و حاردت الناقة إذا منعت لبنها فقل اللبن ، والمعنى : أنهم عزموا على منـع المساكين وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرون على نفعهم ، فغدوا بحال

---

(١) ينظر نظم الدرر ج٢٠ ص٣١٠-٣١١ .

(٢) ينظر شرح الأشموني ج٢ ص٦٠٩-٦١٠ .

(٣) ينظر الكشاف ج٤ ص١٢٩ وتفسير الفخر ج٣٠ ص٨٩-٩٠ والبحر المحيط ج٨ ص٣١٣ وتفسير أبي السعود ج ٩ ص١٥-١٦ وروح المعاني ج٢٩ ص٣١ والتحرير والتنوير ج ٢٩ ص٨٤-٨٥ والدر المصون ج ٦ ص٣٥٦ -٣٥٧ ومن البلاغة القرآنية د/ عبدالغفار يونس ص٦٤-٦٧.

لا يقدرون فيها إلا على المنع والحرمان ، وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان أو غدوا على محاردة جنتهم ، وذهاب خيرها ،بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على حرمان أنفسهم مكان كونهم قادرين على الانتفاع ، والحصر على الأول حقيقي ، وعلى هذا إضافي بالنسبة إلى انتفاعهم من جنتهم والحرمان عليه خاص بهم .

٢. الحرد والحرَد والتحريك أكثر ، الغضب والحنق ومنه قول الأعرج :

إذ جياد الخيل جاءت تردى مملوءة من غضب و حرد (١)

أي لم يقدروا إلا على الغضب والحنق ،و لم يقدروا على ما أرادوا من اجتناء ثمر الجنة ، وإنما سمي الغضب بالحرد لأنه كالمانع من أن يدخل المغضوب منه في الوجود ،

وعليه يتعلق الجار والمجرور بـ(قادرين) وقدم عليه لإفادة الحصر الحقيقي ، أو الإضافي بالنسبة إلى انتفاعهم من جنتهم ولرعاية الفواصل .

٣. الحرد القصد والسرعة يقال: حرد يحرد حردك أي قصد قصدك ومنه قول الشاعر :

---

(١) ينظر اللسان مادة (حرد) .

أقبل سيل جاء من أمر الله   يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد أي سراع .

والمعنى : أنهم غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم على صرامها ومنع منفعتها عن المساكين ، وعليه يكون (على حرد) متعلقاً بـ (غدوا) مبيناً لنوع الغدو ، أي غدوا غدو سرعة واعتناء ، وتكون ﴿على﴾ بمعنى باء المصاحبة ، والمعنى : غدو بسرعة ونشاط ، ويكون ﴿قادرين﴾ حالاً من ضمير ﴿غدوا﴾ حالاً مقدرة أي مقدرين أنهم قادرين على تحقيق ما أرادوا ، وفي الكلام تعريض بأنهم خابوا ، دل عليه قوله تعالى بعده : ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ وقوله قبله :﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾.

٤. الحرد والحرد : الانفراد يقال : حرد بالفتح يحرد بالضم حرودا و حردا : انعزل ، ومنه كوكب حارد أي منفرد، وحرد الرجل عن قومه إذا تنحى عنهم ونزل منفردا ، والمعنى : وغدوا إلى جنتهم منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم قادرين على صرامها .

إلى غير ذلك من أقوال العلماء في معنى الحرد وما أريد به في الآية .

وخلاصة ما تقدم أن الحرد يأتي بمعنى الغضب والحنق ، ويأتي بمعنى الانفراد والانعزال ،واستبعد هنا أن يكون المقصود به معنى الغضب والحنق ؛ لأنهم يعلمون من أنفسهم أنهم منطلقون ليمنعوا الفقراء والمساكين ؛

فبقي معنى القصد ومعنى الانعزال ، أما القصد فهو ملائم لاتفاقهم على أن لا يدخل جنتهم اليوم عليهم مسكين، وفائدة ذكره مع أنه مدلول عليه فيما سبق تأكيد أن قصدهم استمر مصاحبا لهم لم يتحول ولم يتغير حتى وصلوا إلى جنتهم .

وأما الانعزال فهو وصف أبان أنهم استطاعوا أن يقطعوا الطريق إلى جنتهم دون أن يشعر بهم أحد (١)

و أوثر التعبير بكلمة ﴿حرد﴾ في الآية لنكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى ، ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه كما رأينا .

وفي التعبير بقادرين دون حاردين تهكم ؛ لأن شأن فعل القدرة أن يذكر في الأفعال التي يشق على الناس إتيانها قال تعالى : ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ (٢)

وقال : ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ (٣)

فقوله : ﴿بلى على حرد قادرين ﴾ على هذا الاحتمال من باب قولهم فلان لا يملك إلا الحرمان أو لا يقدر إلا على الخيبة .

---

(١) ينظر معارج التفكر ج ١ ص ٢٤١،٢٤٠ .

(٢) سورة ابراهيم آية ١٨ .

(٣) سورة القيامة آية ٤ .

وقادرين حال من فاعل غدوا ، وهو إما من القدرة وهو الظاهر وإما من التقدير والتضييق أي مضيقين على المساكين

ثم صور الله سبحانه وتعالى حالهم تصويرا بديعا عندما عاينوا جنتهم وقد صارت كالصريم فقال : ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ أي فلما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد ضلوا الطريق فقالوا في بداية وصولهم : ﴿إنا لضالون﴾ ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا : ﴿بل نحن محرومون﴾ أي حرمنا خيرها بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء، ويحتمل أن يراد بالضلال هنا الضلال عن الدين لأن منع حق الله نوع من الضلال أي: أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا إنا لضالون حيث كنا عازمين على منع الفقراء وحيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها بل الأمر انقلب علينا وصرنا نحن المحرومين (١) ، وعلى هذا المعنى يكون قوله : ﴿إنا لضالون﴾ كناية عن كون ما أصابهم عقابا على إهمال الشكر فالضلال هنا مجاز .

وأفادت لما اقتران جوابها بشرطها بالفور والبداهة ، والمقصود من هذا التعريض للمشركين بأن يكون حالهم في تدارك أمرهم وسرعة إنابتهم كحال أصحاب هذه الجنة إذ بادروا بالندم وسألوا الله عوض خير.

---

(١) ينظر تفسير الفخر ج٣٠ ص ٩٠ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص ٨٥،٨٦ .

وإسناد هذه المقالة إلى ضمير " أصحاب الجنة " يقتضي أنهم قالوا جميعاً ، أي اتفقوا على إدراك سبب ما أصابهم وأكدوا الكلام لتنزيل أنفسهم منزلة من يشك في أنهم ضالون طريق الخير لقرب عهدهم بالغفلة عن ضلالهم ففيه إيذان بالتحسر والتندم .(١) أو أنهم أكدوا كلامهم بـ "إن" والجملة الاسمية واللام المزحلقة ، مبالغة منهم في الاعتراف بذنبهم لربهم وإشعاراً بأنهم لا يشكون في وقوعهم في الإثم الذي استحقوا عليه العقاب ، ولما تأملوا ووقفوا على حقيقية ما آلت إليه جنتهم ، اعترفوا بالحقيقة المرة وأضربوا عن قولهم الأول ﴿ إنا لضالون ﴾ وقالوا ﴿ بل نحن محرمون ﴾ أي : (لسنا ضالين بل نحن محرمون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا).

والمحروم في اللغة : ضد المرزوق يقال لواجد رزقه : مرزوق ويقال للذي لا يجد رزقه محروم ، والمحروم هو الممنوع من العطاء ، لقد تزاحمت لديهم معاني الحرمان ، معنى العقوبة بالحرمان ومعنى المنع من العطاء ومعنى كونهم محرمين فقراء غير مرزوقين فجاء التعبير عنها جميعاً بعبارة ﴿ بل نحن محرمون ﴾ وهذا من بديع الإيجاز في القرآن .

و﴿ بل ﴾ حرف إضراب والغرض من الإضراب هنا إما أن يكون الانتقال من غرض إلى غرض أهم مع إبقاء الحكم السابق على حاله وعدم إلقاء ما يقتضيه ، فهم قد انتقلوا من الحديث عن ضلالهم إذ بيتوا حرمان

---

(١) ينظر التحرير والتنوير جـ ٢٩ ، ص ٨٥ ، ٨٦ بتصريف كبير

المساكين من فضول ثمرهم إلى غرض أهم وهو الحديث عن حرمانهم هم من جميع ثمار جنتهم ، فالحرمان الأعظم قد اختص بهم إذ ليس حرمان المساكين بشيء في جانب حرمانهم ، وقد دل على ذلك تقديم المسند إليه والإتيان به ضميراً بارزاً مع أن مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً ، وقد أفاد هذا التقديم قصر الحرمان عليهم وهو من القصر الإضافي ، يقول الطاهر بن عاشور مبيناً ذلك : (والكلام يفيد ذلك إما بطريق تقديم المسند إليه بأن أتى به ضميراً بارزاً مع أن مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول ، مقدراً مؤخراً عنه لأنه لا يتصور إلا بعد سماع متحمله ، فلما أبرز الضمير وقدم كان تقديمه مؤذناً بمعنى الاختصاص ، أي القصر وهو قصر إضافي ، وهذا من مستتبعات التراكيب والتعويل على القرائن).[1] وإما أن يكون الغرض من الإضراب هنا الإبطال وهو ما يقتضي نفي الحكم السابق والقطع بأنه غير واقع كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ ٢٩ ص ٨٦ .

﴿ مُكْرَمُونَ ﴾[1] ، فهم قد أبطلوا أن يكونوا أضلوا طريق جنتهم وأثبتوا أنها هي، ولكنهم حرموا خيرها بإتلاف الله لها.[2]

﴿ قال أوسطهم ﴾ أي أفضلهم وأرجحهم عقلا وأقربهم إلى الخير ، وفصلت هذه الجملة عن سابقتها إما لما بينهما من شبة كمال الاتصال لقوة صلة الجملة الثانية بالأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم منها فكأنه قيل : لم نحن محرمون ؟ فقال أوسطهم لأنكم لم تسبحوا ربكم ، وإما لأنها عنصر من عناصر جواب (لما) في قوله تعالى : ﴿ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ، بل نحن محرمون قال أوسطهم ﴾ فهي جزء من الجواب وإما لأنها بدل من ﴿ قالوا ﴾ فإن كانت بدلا فالفصل لكمال الاتصال وإن لم تكن بدلاً فالفصل باعتبار أن ما قالوه جميعهم وما قاله أوسطهم شيء واحد [3].

﴿ألم اقل لكم لولا تسبحون﴾ والغرض من الاستفهام هنا هو التقرير ويردفه التذكير والعتاب أو التوبيخ ، فأوسطهم وأرجحهم عقلاً يذكرهم

---

(1) سورة الأنبياء الآية ٢٦ .

(2) ينظر من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنات ص ٩٦ ، ٧٠ بتصرف .

(3) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/ عبد العظيم المطعني طبعة مكتبة وهبة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ج٤ ص٢٨٨ .

بما كان منه ، ويوبخهم على سوء مسلكهم الذي كان من ثماره أن عاقبهم الله بالحرمان مما مكروا من أجله و ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ الجملة مقول القول وإيثار ذكر الجار والمجرور (لكم) لتشديد التذكير والتوبيخ ، وإيثار المضارع ﴿تسبحون﴾ إشارة إلى الحث على التسبيح في كل الأوقات ، وحذف مفعول الفعل وهو الله عز وجل إشارة إلى فضيلة التسبيح في نفسه وأن المسبح لا يكون إلا الله سواء ذكر أو لم يذكر.(١)

وحذف مفعول﴿ أقل ﴾ لدلالة الكلام عليه والتقدير : ألم أقل لكم أن ما فعلتموه لا ينبغي والمراد بـ ﴿ تسبحون﴾ أي تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم ، وقيل المراد بالتسبيح (الاستثناء) إن شاء الله وسمي الاستثناء تسبيحاً لالتقائهما في معنى التعظيم لله ، لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم ، وقيل المراد به الصلاة كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة وإلا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر.(٢)

﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أجابوا مقرين بوعظه لهم وعصيانهم و عدم أخذهم بالنصيحة فـ ﴿قالوا سبحان ربنا﴾ سبحوا ربهم ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح، وفصلت هذه الجملة عما قبلها لما بينهما من شبه

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٨٦ .

(٢) ينظر الكشاف ج٤ ص ١٢٩. و التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٩٠ وتفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨٦ .

كما الاتصال لوقوعها جوابا عن سؤال نشأ من الأولى تقديره : فماذا قالوا له حينما أراد تقريرهم بوعظه لهم ؟

وجملة ﴿ إنا كنا ظالمين ﴾ إقرار بالذنب ، وأكدت هذه الجملة لتحقيق الإقرار والاهتمام به ، وأفادت ﴿إن﴾ مع ذلك تعليل التسبيح الذي قبله، وحذف مفعول ﴿ظالمين﴾ لإفادة العموم أي ليعم ظلمهم أنفسهم بما جروه على أنفسهم من سلب النعمة وظلم المساكين بمنعهم من حقهم في المال (١)

ثم صور سبحانه ما دار بينهم من حوار بعد أن تيقنوا أن حنتهم قد حرقت فقال : ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ الإقبال : حقيقته المجيء إلى الغير من جهة وجهة ، وهو مشتق من القبل ، وهو ما يبدوا من الإنسان من جهة وجهه ، ضد الإدبار ، وهو هنا تمثيل لحال العناية باللوم .

﴿ يتلاومون ﴾ أي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي ، ويقول ذاك لهذا أنت خوفتنا بالفقر ، ويقول الثالث لغيره أنت الذي رغبتني في جمع المال ، فهذا هو التلاوم (٢)

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص٨٧ بتصرف كبير .

(٢) الكشاف ج٤ ص ١٢٩، ١٣٠ .

وقد صورت الآية هذه الحالة ومادار بينهم من قذف بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز ، ألا ترى أن إقبال بعضهم على ببعض يصور حالة تشبه المهاجمة والتقريع ، وأن صيغة التلاوم مع حذف متعلق التلاوم تصور في ذهن السامع صورا من لوم بعضهم على بعض.(١)

ولما تشوق السامع إلى معرفة بعض ذلك اللوم قال ﴿قالوا يا ويلتنا إنا كنا طاغين﴾ وأسند القول إلى جميعهم لأن كل واحد منهم لام غيره ﴿قالوا يا ويلنا﴾ نادوا الهلاك للتحسر وفرط الندامة أي هذا وقت حضورك ،أيها الويل إيانا ومنادتك لنا ،فإنه لا ندم لنا إلا أنت فتعال ، والويل هو الهلاك والإشراف عليه

والطغيان : تجاوز الحد المتعارف في الكبر والتعاظم ،والمعنى :إنا كنا طاغين على حدود الله .

وفصلت جملة ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ عما قبلها لما بينهما من كمال الاتصال فهي بيان للأولى ،والبيان بمترلة المبين فلا يعطف عليه ، أي يلوم بعضهم بعضا بهذا الكلام،فتكون خبرا مستعملا في التقريع على طريقة التعريض بغيره والإقرار على نفسه مع التحسر والتندم بما أفاده ﴿يا ويلنا﴾ وذلك كلام جامع للملامة كلها ، ويجوز أن يكون سبب الفصل بين الجملتين هو شبة كمال الاتصال لوقوع الثانية جوابا عن سؤال يفهم

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨٧ .

من الأولى فكأنه قيل : لم لاَمَ بعضهم بعضا ؟ فقال: ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴾ فكما أجمعوا على لوم بعضهم بعضا كذلك أجمعوا على إجابة بعضهم بعضا عن ذلك الملام.(١)

ثم رجوا الله أن يعطيهم بدلاً من هذه الجنة ببركة توبتهم واعترافهم بالخطيئة خيرا منها، أنهم راجون عفوه فقالوا : ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ .

وفصلت جملة ﴿ إنا إلى ربنا راغبون ﴾ عن الجملة التي قبلها لما بينهما من كمال الاتصال إذ هي بدل اشتمال من جملة الرجاء أي : هو رجاء مشتمل على رغبة إليه بالقبول والاستجابة ، وأكدت هذه الجملة للاهتمام بهذا التوجيه و﴿إلى﴾ لانتهاء الرغبة ، أو لتضمينها معنى الرجوع.(٢)

وكان سبحانه قد قدر غاية الإيجاز في إظهار تحسر أصحاب الجنة ولكن الله عندما قبل التوبة صورهم في غاية الإطناب في القول بعد حلول العقاب وقبول التوبة إذا أبدل لهم جنة خيرا من التي سبق عليها الحكم بالهلاك وحرمانهم من ثمارها .

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) ينظر المصدر السابق ج ٢٩ ص ٨٨ .

والمقصود من الإطناب في قولهم بعد حلول العذاب بهم تلقين الذين ضرب لهم هذا المثل ، بأن في مكنتهم الإنابة إلى الله بنبذ الكفـران لنعمتـه، إذا أشركوا به من لا إنعام لهم عليه ثم ختم سبحانه قصتهم فقال: ﴿كـذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمـون﴾ رجوعـا إلى تهديـد المشركين المبدوء من قوله : ﴿إنا بلوناهم﴾ وهي جملة استئنافية قدم فيهـا المسند إلية لإفادة القصر وللاهتمام بإحضار تلك الصورة العجيبة في ذهن السامع، والمشار إليه هنا هو ما تضمنته القصة .

والتعريف في ﴿العذاب﴾ إما للعهد أي مثل ذلك ، العذاب الذي بلونا به أهل مكة من الجدب الشديد،وأصحاب الجنة مما قص عذاب الـدنيا،وإما للجنس وفيه توجيه بالعهد الذهني ، أي عذابكم الموعود مثـل عـذاب أولئك. (١)

والمماثلة بين المشبه والمشبه به مماثلة في النوع ، وإلا فإن ما يوعد به أهـل مكة من القحط أشد مما أصاب أصحاب الجنة وأطول.

﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ أي أعظم وأشد تحذيرا عن العناد بوجه أبلـغ ﴿لو كانوا يعلمون﴾ نعى عليهم بالغفلة، أي لو كانوا من أهـل العلـم لعلموا أنه أكبر، ولأخذوا منه حذرهم، والضمير في قوله:﴿لـو كـانوا يعلمون﴾ عائد إلى المشركين، لأنهم ينكرون عذاب الآخـرة ، فهـددوا

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١٧ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٢وتفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص ٨٩ .

بعذاب الدنيا ، ولا يصح عودته إلى أصحاب الجنة لأنهم كانوا مؤمنين بعذاب الآخرة وشدته (١)

ثالثا: البلاغة القرآنية في الفقرة الثالثة الآيات (٣٤ - ٤٣)

(قانون الجزاء الرباني للمؤمنين والكافرين للثواب والعقاب عند الله)

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾

أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٩٠ .

إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾

لما ذكر سبحانه أنه بلا كفار قريش وشبه بلاءهم ببلاء أصحاب الجنة أخبر بحال أضدادهم وهم المتقون فقال(إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم)ولما نزلت هذه الآية قالت قريش إن كان ثم جنات نعيم فلنا فيها أكبر الحظ، فنزلت ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ (١)

فصل بين قوله : ﴿ إن للمتقين عند ربهم ......﴾ وبين الجملة السابقة لشبه كمال الاتصال ؛ فقد وقعت الجملة الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى فكأن السامع يقول: فما جزاء المتقين ؟

فقال ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ فهو كلام معترض بين أجزاء الوعيد والتهديد وبين قوله : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ وقوله : ﴿ كذلك العذاب ﴾

وجاء الوعد مؤكداً بـ ﴿إن﴾ بالجملة الإسمية مراعاة لحال المنكرين والشاكين وطمأنة لقلوب المؤمنين .

وتقديم المسند على المسند إليه للاهتمام بشأن المتقين : ليسبق ذكر صفتهم العظيمة ذكر جزائها ، واللام للاستحقاق و(عند)ظرف متعلق بمعنى

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ج١٥ ص ٤٤ .

الكون الذي يقتضيه حرف الجر ولذلك قدم متعلقه معه على المسند إليه لأجل ذلك الاهتمام، وقد حصل من تقديم المسند بما معه طول يثير تشويق السامع إلى المسند إليه. (١)

﴿عند ربهم﴾ العندية هنا إما عندية كرامة واعتناء ، والمراد بالعندية المكانة لا المكان ففيه استعارة تمثيلية ، شبه حال الثواب والتنعيم بالجنات وهي اختصاصه به تعالى بحيث لا يقدر عليه غيره تعالى ، بحال شيء يكون بحضرة ملك لا يد لغيره ، فاستعمل ما هو الموضوع للمشبه به في المشبه.(٢)

يقول زادة : (والحصر المذكور مستفاد من إضافة جنات إلى النعيم ، فإنها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه ، وذلك لا يكون إلا بأن لا يكون فيها إلا النعيم الخالص ، ففيه تعريض بأن جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش وينغص النعيم).(٣)

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ٩٠ .

(٢) ينظر حاشية القونوي ص ١٩ ص ٢٤٠ .

(٣) حاشية زادة ج٣ ص٥٣١ .

قال مقاتل : (لما نزلت هذه الآية قال كفار مكـــة للمـــسلمين : إن الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا ، فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة ، فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة ، ثم إن الله تعالى أجاب عن هـــذا الكلام بقوله : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ ومعنى الكلام أن التسوية بين المطيع والعاصي غير جائزة).(١)

﴿أفنجعل﴾ الفاء للتفريع ، وهي تقتضي أن هذا الكلام متفرع على مـــا قبله من استحقاق المتيقن جنات النعيم ، أو أن الفاء للعطف على مقـــدر يقتضيه المقام والتقدير : أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كـــالمجرمين ، وقد وبخوا وقرعوا باستفهامات سبعة ، الأول قوله : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ والغرض من هذا الاستفهام هو الإنكار ، أي إنكار أن يكون بين المسلمين والمجرمين مساواة عند الله في الدنيا والآخرة.(٢)

وفي ﴿المجرمين﴾ كناية عن موصوف هم المشركون ، وســـرها البيـــاني الحكم على الكفر والشرك بأنه إجرام ، وفي الآية إيجاز بالحذف والتقدير : في حسن المصير وسوء المصير.(٣)

---

(١) ينظر التفسير الكبير ج٣٠ ص٩١ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١٧ وحاشية زادة ج٣ ص٥٣١ وروح المعاني ج١٩ ص٣٣ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص٩١ وغير ذلك .

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ج٤ ص٢٩٠ .

وفي قوله ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ تشبيه مقلوب لأن أصل الكلام : (أفنجعل المجرمين كالمسلمين) فعكس الكلام بجعل المشبه به مشبهاً ، وقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع .

ثم قيل لهم بطريقة الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾ والغرض من الاستفهام في الموضعين هو الإنكار والتعجب ، أي إنكار لحكمهم أنهم مساوون للمسلمين في الفضل ، وتعجيب من ذلك الحكم .

وفي ﴿مالكم﴾ التفات من الغيبة في ﴿المجرمين﴾ إلى الخطاب في ﴿لكم﴾ والإنكار في ﴿ما لكم﴾ مسلط على سبب حكمهم وقد توصل النظم بإنكار السبب إلى إنكار المسبب ، وهو الحكم بالمساواة وهذا من الكنايات اللطيفة .

وإيثار المضارع ﴿تحكمون﴾ لإفادة غرضين بلاغيين :

الأول: تعاقب الإنكار لحكمهم في كل الأوقات . الثاني: توافق فواصل الآيات على حروف المد بعدها حرف النون ، وبناء الفواصل على هذه الحروف سمة من سمات الإعجاز ، وتيسير الله القرآن للذكر.[1]

ثم أضرب عن هذا إضراباً انتقال لشيء آخر لا إبطال لما قبله فقال : ﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون ﴾ انتقال من إنكار حكمهم والتعجب منه ، إلى

(١) ينظر المصدر السابق الموضوع نفسه .

إنكار أن يكون لهم كتاب ينطق بالحق درسوه وعلموا منه أنهم متساوون مع للسلمين في الفضل عند الله ، فالغرض من الاستفهام في الآية هو الإنكار ، وتقديم ﴿لكم﴾ على للبتدأ ﴿كتاب﴾ لأن للبتدأ نكرة ، والغرض من التنكير النوعية ، أو إشارة إلى الانعدام ، أي ليس لهم كتاب قط استندوا إليه في إصدار أحكامهم الباطلة ، وضمير ﴿فيه﴾ إما أن يكون عائداً إلى الحكم المفاد من قوله : ﴿كيف تحكمون﴾ أي كتاب في الحكم ، و﴿في﴾ للتعليل أو الظرفية المجازية كما تقول : ورد كتاب في الأمر بكذا أو في النهي عن كذا ، فيكون ﴿فيه﴾ ظرفا مستقراً صفة لـ﴿كتاب﴾ ، ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى ﴿كتاب﴾ ويتعلق المجرور بفعل ﴿تدرسون﴾ ، وفي هذا إدماج بالتعريض بأنهم أميون ليسوا أهل كتاب ، وأنهم لما جاءهم كتاب ليهديهم وإلحاقهم بالأمم ذات الكتاب كفروا وكذبوه.(١)

وإيثار المضارع ﴿تدرسون﴾ لما مر في ﴿تحكمون﴾ من معاودة الدراسة وتوافق فواصل الآيات. (٢)

﴿ إن لكم فيه لما تخيرون ﴾ أي ليس لهم كتاب يجدون فيه ما يوافق أهواءهم وما يختارون من المنافع ، وهذه الجملة في موضع مفعول

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٩٣ .

(٢) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام ج٤ ص٢٩٠ .

﴿تدرسون﴾ على أنها محكي لفظها أي تدرسون هذه العبارة ويكون ﴿فيه﴾ توكيداً لفظياً لنظيرها من قوله : ﴿فيه تدرسون﴾ قصد من إعادتها مزيد ربط الجملة بالتي قبلها.[1]

واللام في ﴿لما﴾ لتوكيد الاختيار ، و ﴿تخيرون﴾ أصلها ﴿تتخيرون﴾ بتائين حذفت إحداهما تخفيفاً .

وهذه الآية داخلة حيز الإنكار ؟ لأنها صفة لموصوف منكر لا وجود له ، وهذا مما يعنيه البلاغيون بقولهم : على لا حبٍ لا يهتدي لمناره [2].

﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ انتقال من أن يكون لهم كتاب يستندون إليه في إصدار أحكامهم ، إلى الإنكار أن يكون لهم عند الله عهود ومواثيق يكونون بمقتضاها مساوين للمسلمين في الفضل والتكريم وأن تكون تلك العهود معمولاً بها إلى يوم القيامة ، يوم يدخل المسلمون الجنة ، فيدخل معهم المجرمون الجنة بدلا من النار ، وهذه الصفات مسلط عليها الإنكار الذي سلط على الموصوف ، وهو: الأيمان ، أي لا أيمان بالغة لهم على الله إلى يوم القيامة ، بل هذه مزاعم من شأنها

---

(١) ينظر حاشية الشهاب ج٨ ص٢٣١ وتفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٩٣،٩٤ .

(٢) اللاحب : الطريق ، وقد كنوا بنفي الاهتداء لمناره عن نفي الطريق نفسه ، أي : لا لاحب ولا اهتداء ، ينظر .

أن يقولها المشركون بادعائهم أنهم مماثلون للمسلمين في الفضل عند الله.[1]

﴿بالغة﴾ مؤكدة وهي صفة لأيمان ، و ﴿علينا﴾ صفة ثانية لـ﴿أيمان﴾ و ﴿إلى يوم القيامة﴾ صفة ثالثة لـ ﴿أيمان﴾ فحصل من الوصفين أنها عهود مؤكدة ومستمرة طول الدهر .

وفسرت الأيمان بالعهود وإطلاق الأيمان على العهود من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الجزئية أو اللازم على الملزوم.[2]

﴿ إن لكم فيه لما تخيرون ﴾ جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم ، وهو جار على تفسير الأيمان بمعنى العهود لأن العهد كاليمين من غير فرق فيجاب بما يجاب به القسم [3].

والتوكيد بـ ﴿أن﴾ واللام لتشديد الإنكار .

ولما عجب منهم وتهكم بهم ذيل ذلك بتهكم أعلى منه ، يكشف عوارهم غاية الكشف وينزل بهم أشد الحتف فقال مخوفاً لهم بالإعراض [4] :

﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾.

---

(١) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام ج٤ ص٢٩١ .

(٢) ينظر حاشية الشهاب ج٨ ص٢٣١ وحاشية الجمل ج٤ ص٤٥٤ وروح المعاني ج٢٩ ص ٣٤ .

(٣) ينظر روح المعاني ج٢٩ ص٣٤ .

(٤) ينظر نظم الدرر ج ٢٠ ص٣٢١ .

وهو استئناف بياني يراد به التهكم زيادة على الإنكار عن جملة ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة ﴾ لأن الأيمان وهي العهود تقتضي الكفلاء عادة ، فلما ذكر إنكار أن يكون لهم عهود كمل ذلك بأن يطلب منهم أن يعينوا من هم الزعماء بتلك الأيمان فالاستفهام في ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴾ مستعمل في التهكم زيادة على الإنكار عليهم (١).

والخطاب لرسول الله ﷺ وفي هذا تلوين للخطاب بتوجيهه إلى الرسول ﷺ بإسقاطهم عن رتبة الخطاب .

والأمر في ﴿سلهم﴾ للتهكم والتعجيز ، وفيه تمهيد للانتقال من الحديث معهم بطريق المخاطبة إلى الحديث عنهم بطريق الغيبة (أيهم ـ لهم ـ فليأتوا ـ إن كانوا) وسر هذه الالتفاتات من الخطاب إلى الغيبة فيما يبدوا إشارة إلى وجوب الإعراض عنهم ، والازدراء بهم ، وتقدم ﴿بذلك﴾ على ﴿زعيم﴾ لأنه محط الإنكار ومجيء ﴿ذلك﴾ وهو اسم إشارة موضوع للمشار إليه البعيد مؤذن ببعد أن يكون ما ادعوه حاصلاً لهم ، أو أن ما ادعوه من المساواة بالمسلمين مترلة رفيعة لايرقى إليها من مصيره دركات النار الفائرة في أعماق الأرض ، كما أن في تأخير ﴿زعيم﴾ توافق لبناء الفواصل على حرف المد ، وهو من أبرز سمات النظم الحكيم .

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود ج٩ ص١٨ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٤ والتحرير والتنوير ج ٢٩ ص٩٥ .

أما تنكير ﴿زعيم﴾ فللانعدام (١) ، أي ليس لهم زعيم قط .

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ انتقال وإنكار جديدان ، ﴿أم﴾ إضراب انتقالي ثالث إلى إبطال مستند آخر ... واللام في ﴿لهم﴾ لام الأجل ، أي لأجلهم بتقدير مضاف ، أي لأجل نصرهم ، وتنكير ﴿شركاء﴾ في حيز الاستفهام المستعمل في الإنكار يفيد انتفاء أن يكون أحد من الشركاء أي الأصنام لهم : أي لنفعهم فيعم أصنام جميع قبائل العرب .

ونقل أسلوب الكلام من الخطاب إلى الغيبة لمناسبة وقوعه بعد ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ لأن أخص الناس بمعرفة أحقية هذا الإبطال هو النبي ﷺ ، وذلك يستتبع توجيه هذا الإبطال إليهم بطريقة التعريض ، والمعنى : (ألهم شركاء ضمنوا لهم ما يريدون فيتحقق لهم ما أرادوا من حسن المآل كالمسلمين) ، والشركاء بهذا المعنى هم الذين سلط عليهم الإنكار ، فلا يقال كيف أنكر النظم شركاءهم وهم موجودون كاللات والعزى ومناة ، فالإنكار في الآية مسلط على هذا المعنى السابق لا على الشكل المادي لأصنامهم وأوثانهم وجميع من عبدوه من دون الله (٢).

---

(١) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام ج٤ ص١٩١، ١٩٢ بتصرف .

(٢) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٩٦ والتفسير البلاغي للاستفهام ج٤ ص٢٩٢ .

﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ الفاء لتفريع ما بعدها على ما قبلها ، والأمر للتهكم والتعجيز والتبكيت ، وإضافة ﴿شركاء﴾ إلى ضميرهم إما لإبطال صفة الشركة في الألهية عنهم أي ليسوا شركاء في الألهية إلا عند هؤلاء ، فإن الألهية الحق لا تكون نسبة بالنسبة إلى فريق أو قبيلة ، وإما تهكما بهم وسخرية منهم وتسفيها لعقولهم ، وإما لأنهم جعلوها شركاء لله [1].

وأعلم أنه تعالى لما أبطل قولهم ، وأفسد مقالتهم شرح بعد ذلك عظمة يوم القيامة فقال ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ناصب الظرف (يوم) (فليأتوا) أو بإضمار أذكر يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت ، فحذف للتهويل البليغ ، وإن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه ، عن ابن مسعود رضي الله عنه تعظم أصلابهم ، أي ترد عظاماً بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض.[2]

وفي القاموس المحيط : (الساق ما بين الكعب والرُّكبة والجمع : سوق وسيقان ، وأسْؤُق ، هُمزت الواو لتَحْمِلَ الضمة ، و ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ ، عن شدة ، ﴿والتفت الساق بالساق﴾ : آخرُ شدة الدنيا بأول

---

(١) ينظر التفسير الكبير ج٣٠ ص٩٣ والتحرير والتنوير ج٢٩ ص٩٦ والتفسير البلاغي للاستفهام ج٤ ص٢٩٢ .

(٢) ينظر الكشاف ج٤ ص١٣١ .

شدة الآخرة ، يذكرون الساق إذا أرادوا شدة الأمر والإخبار عن هوله ، وولدت ثلاثة بنين على ساق : متتابعة لا جارية بينهم) [1].

ويفهم من هذا النص أن الكشف عن الساق كناية عن شدة الهول ، وقد وقف الإمام الزمخشري عند هذه الكناية وحللها تحليلاً يكشف عن عبقريته في اللغة والبيان إذ يقول : (والكشف عن الساق والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب ، وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدّرات عن سوقهن في الهرب وإبداء خدامهن عند ذلك قال حاتم :

أخو الحرب إن عَضَّتْ به الحرب عَضّهَا   وإن شَمَّرَتْ عن ساقها الحرب شَمَّرَا

... فمعنى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق ، كما تقول للأقطع الشحيح : يده مغلولة ، ولا يد ثم ولا غل ، وإنما هو مثل في البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان ، والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه : " يكشف الرحمن عن ساقه ، فأما المؤمنون فيخرون سجداً ، وأما المنافقون

---

(١) القاموس المحيط مادة (سوق) .

فتكون ظهورهم طبقاً كأن فيها سفافيد " ومعناه : يشتد أمـــر الـــرحمن ويتفاقم هوله ، وهو الفزع الأكبر يوم القيامة)[1].

ويفهم من كلام الزمخشري أن الكشف عن الساق كناية عن شدة الأمـــر وصعوبة الخطب يوم الفزع الأكبر ، وأن هذه الكناية مبنية علـــى أمـــر معروف للقوم .

كما نلاحظ أن الكناية عن شدة الهول مصحوباً بالتوبيخ والتعنيف علـــى تركهم السجود في الدنيا ، ومصحوباً بالحسرة والندم على ما فرطوا فيـــه [2].

وقال بأن الكشف عن الساق كناية عن شدة الأمر أبو حيان والفخر الرازي والبقاعي والصاوي وغيرهم [3].

وقيل : ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنـــسان وعلى هذا التفسير يكون قوله ﴿يوم يكشف عن ســـاق﴾ مـــن قبيـــل الاستعارة التصريحية ، بأن يشبه أصل الأمر وحقيقته بـــساق الـــشجر ثم يحذف المشبه به بعد أن يستعير معناه للمشبه علـــى طريـــق الاســـتعارة

---

(١) الكشاف ج٤ ص١٣٠، ١٣١ بتصرف .

(٢) ينظر علم البيان دراسة بلاغية ونقدية د/محمد أحمد عثمان خيمر ص١٤٨ الطبعة الألى ١٤٢٤هـــ ٢٠٠٣م .

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣١٦ والتفسير الكبير ج٣٠ ص٩٣- ٩٥ ونظـــم الـــدرر ج٢٠ ص٣٢٣ وحاشية الصاوي على الجلالين ج٣ ص٢٢٤ .

التصريحية الأصلية وللمعنى يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهـــر حقـــائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً .

وقيل : إن في قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ استعارة تمثيلية ، إذ إن معنى الآية : يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق وإنما هو مثل بأن شبهت حال الشدة عليهم من الأمر في الموقف بحال المخـــدّرات الـــلاتي اشتد عليهن الأمر فاحتجن إلى تشمير ساقهن في الهرب فاستعمل في حق أهل للموقف من الأشقياء ما يستعمل في حقهن مـــن غـــير تـــصرف في مفردات التركيب بل التصرف إنما هو في الهيئة التركيبية ، وتنكير ســـاق على الأول للتعظيم ، وعلى الثاني : للتهويل والدلالة علـــى أنها شـــدة خارجة عما يتخيله الإنسان كأنه قيل: يوم يكشف عن شدة ، أي شدة لا يمكن وصفها (١) .

وأرجح أن يكون قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ من قبيل الكنايـــة عن شدة الأمر وصعوبة الخطب يوم القيامة ، لأنها هنا أبلـــغ في تـــصوير الموقف وفي التأثير على النفس في تحقيق الغرض المقصود من الكلام مـــن الاستعارة .

---

(١) ينظر تفسير البيضاوي ج٢ ص٢٧٥ وتفسير أبي السعود ج٩ ص١٨ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٥ وحاشية زادة ج٣ ص٥٣٢ وحاشية الشهاب ج٣ ص٢٣٢ وغير ذلك .

فشدة الهول والخوف في هذا المقام تدعو إلى تذكير أصحاب النعم بحق الله في نعمهم ، وأن الله تعالى أنعم على عباده لتقربهم النعم منه ، وهـذه الكناية تدعو الإنسان إلى الانتفاع بنعم الله عليه من قوة وصحة ووقـت قبل فوات الأوان ، وأن هذه الكناية تذكرنا بأخذ العدة ، والتزود مـن التقوى وبخاصة الصلاة استعدادا ليوم يكشف فيه عن ساق(١).

﴿ويدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ لا يدعون إليه تعبداً وتكليفاً ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيراً لهم وتنديماً على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالمو الأصلاب (٢).

وقيل:المقصود بالسجود هو عبارة عن جميع الطاعات،وخص بالذكر من حيث امتحنوا به في الآخرة(٣).

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾

خشوع الأبصار : هيئة النظر بالعين بذلة وخوف اسـتعير لـه وصـف ﴿خاشعة﴾ لأن الخاشع يكون مطأطئاً مختفياً ﴿ترهقهم﴾ : تحـل بهـم

(١) ينظر علم البيان دراسة بلاغية د/محمد أحمد عثمان ص١٥١ بتصرف .

(٢) ينظر الكشاف ج٤ ص١٣١ .

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣١٥، ٣١٦ .

وتقترب منهم بحرص على التمكن منهم ، وجملة ﴿ترهقهم ذلة﴾ حـــال ثانية من ضمير يستطيعون ، وجملة ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنـــها ، أي كـــانوا في الـــدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون من مثل الحالة التي هم عليهـــا في يوم الحشر ، والواو للحال وللاعتراض ، وجملة ﴿وهم سالمون﴾ حال من ضمير ﴿يدعون﴾ أي وهم قادرون لا علة تعوقهم عنه في أجسادهم [1].

ونسبة الخشوع والذل إلى الأبصار وإن كانت الجوارح كلها خاشعة لأن الخشوع فيها أبين منه في كل الجوارح ، أو لأن ما في القلب يعـــرف في العين [2].

وعلى الأول يكون التعبير من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الجزئية حيث أطلق الجزء وهو الأبصار وأراد الكل وهو كل الجوارح ، وعلى الثاني يكـــون التعبير من قبيل المجاز العقلي بعلاقة المحلية ، حيث أطلق المحل وهي الأبصار وأراد الحال وهو القلب .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص٩٩ .

(٢) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣١٦ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٦ وحاشية الصاوي ج٣ ص٢٢٦ والمحرر الـــوجيز ج١٥ ص٥١ وغير ذلك .

وفي قوله ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ احتباك (١) ، لأن ذكر عدم الاستطاعة أولاً دال على حذف الاستطاعة ثانياً ، وذكر السلامة ثانياً دال على حذف عدم السلامة أولاً (٢).

رابعاً: البلاغة القرآنية في الفقرة الرابعة الآيات (٤٤-٥٢)

((الثبات والصبر في نشر الدعوة الإسلامية))

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) هو : أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول : الاتقان ج٥ ص١٦٦٣ .

(٢) ينظر نظم الدرر ج٢٠ ص٢٢٥ .

لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٥٢)﴾

اعلم أنه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف فخوفهم بما عنده ، وفي قدرته من القهر فقال : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ والمعنى : خل بيني وبينه فأني سأجازيه ، وليس ثم مانع ، وهذا وعيد شديد لمن يكذب بما جاء به الرسول ﷺ من أمر الآخرة وغيره ، وفيه تسلية له ﷺ ، وهو من بليغ الكلام لأنه يفيد أن المتكلم واثق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما يدور حول أمنية المخاطب وبما يزيد عليه (١).

والحديث يجوز أن يراد به القرآن تسميتهُ حديثاً لما فيه من الإخبار عن الله تعالى وإخبار عن الأمم وإخبار عن المغيبات ، واسم الإشارة على هذا للإشارة إلى مقدر في الذهن مما سبق نزوله من القرآن ، ويجوز أن يراد به الإخبار عن البعث وهو ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن

(١) ينظر الكشاف ج٤ ص١٣١ وتفسير أبي السعود ج٩ ص١٨، ١٩ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٦ .

ساق﴾ ويكون اسم الإشارة إلى ذلك الكلام ويتضمن هذا تعريضاً بالتهديد للمكذبين لأنهم يسمعون هذا الكلام (١)

وقوله : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفادة من الأمر السابق إجمالاً ، والضمير لمن ، والجمع باعتبار معناها ، كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظها ، أي سننزلهم إلى العذاب درجة درجة (٢).

﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج ، ومفعول ﴿لايعلمون﴾ ضمير محذوف عائد إلى حيث .

﴿وأملي لهم﴾ وأمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾ لا يدفع بشيء ، وسمى إحسانه وتمكنه كيداً كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورط في الهلكة (٣).

ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك .

فقد استخدم سبحانه الكيد على إحسانه للقوم الضالين مع إرادته إلحاق السوء بهم بإطلاقه على وجه الاستعارة المكنية ، لمشابهته فعل الكائد من حيث تعجيل الإحسان ، وتعقيب الإساءة بقوله : ﴿ وأملي لهم إن كيدي

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص١٠٠، ١٠١ .

(٢) تفسير أبي السعود ج٩ ص١٩ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٦ .

(٣) ينظر الكشاف ج٤ ص١٣١ وتفسير أبي السعود ج٩ ص١٩ وروح المعاني ج٢٩ ص٣٦ .

متين ﴾ ، أو على سبيل المجاز المرسل ، فقد سمى إمهاله لهم ومرادفته النعم ، والآلاء والخيرات عليهم كيداً ، لأنه سبب تورطهم وانشغالهم بما هو عليه والهلاك لنتيجة ما قدر ، لأن حقيقة الكيد : ضرب من استغلال البساطة والانصراف إلى الاحتيال والاحتيال هو أن تفعل ما هو نافع وحسن في الظاهر ، وأنت تقصد وتريد ضده ، وهو فعلاً ما حصل من سعة أرزاقهم وسمو عيشهم ، وطول أعمارهم ، وهو فيما ظهر لهم إحسان لأحوالهم ، والمقصود به الهلكة والضرر [1].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾

هاتان الآيتان متصلتان بالآيات ذوات الاستفهام المتقدمة وكان النظم قد فصل بينهما وبين ما لهما صلة به من حيث الاستفهام الحجاجي بأربع آيات عرضت لمعاني في سياق الحديث عن المجرمين ، ثم استأنف النظم حجاجهم مرة أخرى قاطعاً عنهم كل الأعذار التي تسوغ لهم كفرهم وإشراكهم ، فالآية الأولى تنفي أن الرسول يطلب منهم أجوراً في نظير أن يؤمنوا فتثقل تلك الأجور والمغارم عليهم كالأحمال المضنية ، والآية الثانية تنفي أن يكون عندهم اطلاع على الغيوب التي استأثر بها الله عز وجل ، فعلموا أن الله سيسوي بينهم وبين المسلمين في الدنيا والآخرة .

---

(١) ينظر فن الأسلوب ص٣١٨ .

والغرض من الاستفهام في قوله : ﴿أم تسألهم أجراً﴾ وقوله : ﴿أم عندهم الغيب﴾ الإنكار ، فـ ﴿أم﴾ للإضراب والانتقال الإبطالي والهمزة للإنكار ، أي أن محمد ﷺ لم يفرض عليهم أجراً من أجل دعوتهم إلى الإيمان ، ولا هم عندهم علم من الغيب استندوا إليه في زعمهم أنهم سيكونون عند الله مساوين للمسلمين في الفضل والنعيم (١).

والمغرم : الغرامة ، والمثقل : الذي حمل عليه شيء ثقيل ، والفاء للتفريع والتسبب ، أي فيتسبب على ذلك أنك شققت عليهم فيكون ذلك اعتذاراً منهم عن عدم قبول ما تدعوهم إليه وتقديم المعمول على عامله في قوله : ﴿من مغرم مثقلون﴾ للإهتمام بموجب المشقة قبل ذكرها ولأنه محط الإنكار مع رعاية الفاصلة .

وإيثار المضارع ﴿تسألهم﴾ الواقع في حيز الإنكار ، لدلالته – لو كان الأمر إثباتاً – على إلحاح النبي ﷺ بتقاضي ذلك الأمر منهم حيناً فحيناً ، وأنه لم يطالبهم به مرة واحدة بل مرات متتابعات فعبر النظم الحكيم بالمضارع ليكون الإنكار مسلطاً على السؤال في كل الأوقات، والمعنى:أنت لا تسألهم أي أجر ما.

---

(١) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ج٤ ص٢٩٢ ، ٢٩٣ بتصرف كبير .

وقوله: ﴿فهم من مغرم مثقلون﴾ من باب نفي الشيء بإيجابه [1] ، لأنه في اللفظ موجب ثابت ، وفي المعنى منفي لا وجود له .

وطريق نفيه أنه مرتب على أمر منفي ، وهو سؤال الأجر ، وهو سبب المغرم الثقيل ، ونفي السبب يقتضي نفي المسبب ضرورة ، وهو كناية لطيفة من قبيل : (على لاحب لا يهتدى لمناره) .

وفي ﴿مثقلون﴾ استعارة تصريحية تبعية ؛ شبه فيها بهاظة المغرم ، وهو أمر معنوي عقلي بوطأة الحمل الكبير الحجم والوزن ، وهي أمر حسي مادي ، وتنكير ﴿مغرم﴾ للتهويل بدلالة المقام [2].

﴿أم عندهم الغيب﴾ للإضراب والانتقال الإبطالي مما تقدم لإنكار جديد ، والكلام على حذف مضاف ، أي أعندهم علم الغيب ، و تقديم ﴿عندهم﴾ على المبتدأ إما لأنه محط الإنكار وإما لإفادة الاختصاص ، أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله .

﴿فهم يكتبون﴾ الفاء فرعت ما بعدها وهو ﴿يكتبون﴾ بمعنى يحكمون حكماً مستنداً إلى أدلة صحيحة ، وإيثار المضارع للتجدد والتكرار ، ولما فيه من مراعاة فواصل الآيات .

---

(١) هو أن ينفي متعلق أمر عن أمر فيوهم إثباته له والمراد نفيه عنه أيضاً ، ينظر جواهر البلاغة للهاشمي ص٣٠٨ .

(٢) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام ج٤ ص٢٩٣ بتصرف .

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾

﴿فاصبر لحكم ربك﴾ وهو إمهالك وتأخير نصرتك عليهم ، ونجـــد في القرآن أن فعل الصبر يتعدى بـــــ ﴿علـــى﴾ مثـــل : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (1)، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ (2) .

وهذا هو الأصل في الاستعمال ، فما الحكمة من تعديه فعل الصبر بحرف اللام هنا ؟

بالتأمل يتبين لنا أن فعل الصبر هنا تضمن معنى التسليم لحكم الله ، وهذا التسليم يلائمه حرف اللام ، والتقدير : فاصبر مستسلماً لحكم ربـــك ، وهذا التضمين من أساليب القرآن البيانية البديعة .

﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ يعني يونس عليه السلام .

﴿ إذ نادى وهو مكظوم ﴾ مملوء غيظاً من كظم السقاء إذا ملأه ، والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه .

والنهي منصباً على الذوات ، أي لا يكن حالك مثل حالـــه إذ نـــادى ، والعامل في إذ هو المضاف المحذوف أي كحاله أو كقصة صاحب الحوت (3).

---

(1) سورة طه آية ١٣٠ .

(2) سورة لقمان ١٧ .

(3) ينظر الكشاف ج٤ ص١٣٢ والبحر المحيط ج٨ ص٣١٧ .

وجيء بهذه الجملة اسمية ﴿ وهو مكظوم ﴾ لدلالتها على الثبات ، أي هو في حبس لا يرجى لمثله سراح ، وهذا تمهيد للامتنان عليه بالنجاة من مثل ذلك .

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ استئناف بياني ناشئ عن مضمون النهي من قوله : ﴿ ولا تكن كـــصاحب الحـــوت ﴾ أنـــه يتضمن التحذير من الوقوع في كرب من قبيل كرب يونس ، ثم لا يدري كيف يكون انفراجه ، وجواب لولا محذوف ، والتقدير : لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء نبذاً ذميماً ، وتنكير ﴿نعمة﴾ للتعظيم لأنها نعمة مضاعفة مكررة (١).

وفي قوله : ﴿ وهو مذموم ﴾ مجاز مرسل ، لأن اللوم في حقيقته ســـبب للذم ، والعلاقة السببية وهو فاعل للذنب من ثلاثة أوجـــه : علـــى رأي آخر :

١. إن لفظة لولا تدل على أن المذمومية لم تقع .

٢. وربما كان المراد في المذمومية ترك الأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج ٢٩ ص١٠٤ — ١٠٧ بتصرف كبير .

٣. وقد تكون الواقعة حصلت قبل ثبوت نبوته ، ولكن حمل الآية على المجاز المرسل أسلم من تكلف التأويل (١).

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿فاجتباه ربه﴾ عطف على مقدر ، أي فتداركته نعمة ربه فاجتباه بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون .

﴿فجعله من الصالحين﴾ من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى .

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾

أي ليزلقون قومك بنظرهم الحاد الدال على العداوة المفرطة ، أو ليهكونك من قولهم : نظر إليّ نظرا يكاد يصرعني .. وقيل معنى ليزلقونك بأبصارهم : ليأخذونك بأعينهم(٢) ، لقد حقد الكفار واغتاظو من رسول الله ﷺ إذ صاروا ينظرون إليه شزْراً حتى كادت تؤثر نظراقم في استقرار قدميه فيتزلقا كما يتزلق القدم في سيره في الطين أو الوحل ، وهذه كناية عن فقده للتوازن ، وقد جعل الله الانزلاق بأبصار المشركين على سبيل

(١) ينظر فن الأسلوب ص٢١٩ .

(٢) ينظر البحر المحيط ج٨ ص٣١٨ .

الاستعارة المكنية إذ شبهت الأبصار بالسهام ورمز إلى المشبه به بعد حذفه بشيء من لوازمه وهو قوله : ﴿ليزلقونك﴾ .

وأظهر ﴿الذين كفروا﴾ في موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف ، وجاء ﴿يكاد﴾ بصيغة المضارع للدلالة على استمرار ذلك في المستقبل ، وجاء فعل ﴿سمعوا﴾ ماضياً لوقوعه مع ﴿لما﴾ وللإشارة إلى أنه قد حصل منهم ذلك وليس مجرد فرض [1].

و﴿لما﴾ من جعلها ظرفية جعلها منصوبة بـ ﴿يزلقونك﴾ ومن جعلها حرفاً جعل جوابها محذوفا للدلالة عليه ، أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ، ومن جوز تقديم الجواب قال هو هنا مقدم .

وفي قوله : ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ مع قوله في أول السورة ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ محسن بديعي وهو رد العجز على الصدر [2] وهذا أفضل وأحسن إيجاز بلاغي بدت فيه متانة الأسلوب القرآني وبلاغته .

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص١٠٨ .

(٢) هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها ، وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني ينظر بغية الإيضاح ص٦٤٩ .

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ إبطال لقولهم : إنه لمجنون ، لأنهم قالوه في سياق تكذيبهم بالقرآن ، فإذا ثبت أن القرآن ذكر ، بطل أن يكون مبلغه مجنونا ﷺ ، وهذا من قبيل الاحتباك إذ التقدير : ويقولون إنه لمجنون ، وإن القرآن كلام مجنون وما القرآن إلا ذكر ، وما أنت إلا مذكر[1] .

أو أن ذلك من باب ذكر المسبب وإرادة السبب ، فإن مرادهم به أن القرآن الذي أتى به الرسول ﷺ قول الجن ومن قبيل الكهانة لا أنه عليه السلام مسلوب العقل ، لأنه عندهم أعقل الناس ، وكمال عقله مسلم فيما بينهم ، فكيف يريدون بقولهم : ﴿إنه لمجنون﴾ أنه ﷺ فاقد العقل ، فالظاهر أنه من باب الكناية .

وفي قوله : ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ قصر قلب فقد قصر القرآن أو النبي ﷺ على كونه ذكر للعالمين قصر قلب وطريقه النفي والاستثناء والغرض من هذا القصر تأكيد مضمون الكلام وتقريره .

---

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ج٢٩ ص١٠٩ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد

فقد حاولت قدر استطاعتي أن أظهر البلاغة القرآنية في سورة القلم ، لأضع اليد على خصائص التعبير القرآني وبلاغته ، وبمراجعة هذه االدراسة يتبين لنا ما يلي :

١- أن القرآن الكريم بلغ أعلى مراتب الإعجاز والفصاحة ، فلا يحيط ببيانه ومكنون أسراره إلا الله – سبحانه وتعالى – وكل يستخرج من كنوزه التي لا تنفد بقدر عطاء الله وتوفيقه له ، ولا يزال كثير من الأسرار محجوباً عن الأبصار .

٢- الترابط والتكامل بين المعاني والألفاظ وبين السابق واللاحق واضح جلي في القرآن الكريم ، فكل كلمة في القرآن مناسبة لسياقها ومادتها وهيئتها ، ولا يسد غيرها مسدها ولا يؤدي معناها ، فما قدم أو أُخر أو حذف أو ذكر ، وما عبر عنه بلفظه .. ما أتى على هذا الوجه إلا لأنه لا يتم إلا بذلك ، فكل ناسب سياقه ومقامه وغرضه .

٣- اشتملت سورة القلم على كثير من اللطائف الأدبية والفنون البلاغية موزعة على علوم البلاغة الثلاثة ، فنجد من علم المعاني :

القسم في قوله تعالى ﴿ والقلم وما يسطرون ﴾ .
وحذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ وقوله : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ ، وحذف جواب لو في قوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ وقوله : ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه .. ﴾
وإيجاز القصر في قوله تعالى : ﴿ بل نحن محرومون ﴾ وقوله : ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴾
والفصل بين قوله : ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ وقوله : ﴿ بأيكم المفتون ﴾
وبين قوله : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ وقوله : ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾
وبين قوله : ﴿ قال أوسطهم ﴾ وقوله : ﴿ بل نحن محرومون ﴾
وبين قوله : ﴿ إنا إلى ربنا راغبون ﴾ وقوله : ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها ﴾
وبين قوله : ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ وقوله : ﴿ كذلك العذاب ﴾ .
والإطناب بالتكرار في قوله : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾
وبعطف الخاص على العام في قوله : ﴿ولا تطع كل حلاف مهين ..﴾ بعد قوله:﴿ فلا تطع المكذبين ﴾.

وبالاعتراض في قوله : ﴿ بعد ذلك ﴾ .
والقصر في قوله : ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ وفي قوله : ﴿ بل نحن محرومون ﴾
وقوله : ﴿ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾
وقوله : ﴿ إنا إلى ربنا راغبون ﴾ وقوله : ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾
وقوله : ﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ .
وقوله : ﴿ فطاف عليهم طائف من ربك ﴾ وقوله : ﴿ .. أيهم بذلك زعيم ﴾ وقوله : ﴿ أم لكم كتاب ﴾ وقوله : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾
والتعريف في ﴿ كذلك العذاب ﴾ .
والاستفهام التقريري في قوله : ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ والإنكار في سبعة مواضع هي قوله : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾، ﴿ مالكم ﴾ ، ﴿ كيف تحكمون ﴾، ﴿ أم لكم كتاب فيه تدرسون ﴾، ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة ﴾، ﴿ أيهم بذلك زعيم ﴾، ﴿ أم لهم شركاء ﴾ .

والنهي في قوله تعالى : ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ وقوله : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾.

والأمر للتهكم والتعجيز في قوله : ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴾

وقوله : ﴿ فليأتوا بشركائهم ﴾

إلى غير ذلك من مباحث علم المعاني التي وردت في السورة .

ونجد من علم البيان :

التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ﴾

والتشبيه في قوله : ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ وقوله : ﴿ كذلك العذاب ﴾ .

والاستعارة التمثيلية في قوله : ﴿ فطاف عليهم طائف من ربك ﴾ وقوله : ﴿ أن اغدوا على حرثكم ﴾ وقوله : ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ .

والاستعارة التصريحية التبعية في قوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله: ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾.

والاستعارة المكنية في قوله : ﴿ إن كيدي متين ﴾ وقوله : ﴿ ليزلقونك بأبصارهم ﴾ .

والكناية في قوله : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ وقوله : أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ وقوله : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ .

والتعريض في قوله : ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ .

والمجاز المرسل في قوله : ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة ﴾ وقوله : ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ وقوله : ﴿ لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ .

إلى غير ذلك من مباحث علم البيان التي وردت في السورة .

ونجد من علم البديع :

الجناس بين (مجنون) و (ممنون) وبين (طاف) و (طائف) وبين (ليصرمنها) و (الصريم) .

والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله : ﴿ ما لكم كيف تحكمون ﴾

ومن الخطاب إلى الغيبة في قوله : ﴿ إيهم بذلك زعيم أم له شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾

والاحتباك في قوله:﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون..وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾.

والإدماج في قوله : ﴿ ولا يستثنون ﴾ .

ونفي الشيء بإيجابه في قوله تعالى : ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ .

ورد العجز على الصدر في قوله : ﴿ ويقولون إنه لمجنون ﴾بعد قوله : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾.

ومراعاات الفواصل في أكثر من موضع .

إلى غير ذلك من الفنون البلاغية التي وردت في السورة .

والله الكريم أسأل أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقني لخدمة كتابه العزيز ، وأن يغفر الزلات ويتجاوز عن الهفوات والعثرات ، إنـــه خـــير مسئول وخير مجيب ، والحمد لله أولاً و آخراً وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

راجي عفو ربه الكريم المنان

رمضان بن محمد بن محمود بن حسان

الأستاذ المشارك بالمعهد العالي للأئمة والخطباء

بجامعـــة طيبـــة

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق مركز الدراسات القرآنية ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ .

٢. إيجاز البيان في سور القرآن ، محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٣. بحوث في البيان ، د/ محمود السيد شيخون ، طبعة مطبعة أسامة ، ١٩٨١م .

٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، د/عبدالمتعال الصعيدي ، ط مكتبة الآداب السابعة عشرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

٥. تفسير ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق السيد عبدالعال السيد إبراهيم طبعة مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر ، ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

٦. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط دار المصحف ، بدون تأريخ .

٧. تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، طبعة دار الفكر الثانية ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

٨. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، د/عبد العظيم المطعني ط مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

٩. تفسير البيضاوى على حاشية زاده ، طبعة المكتبة الإسلامية .
١٠. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشـور ، طبعـة الـدار التونسية ، بدون تأريخ .
١١. التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الثالثة ، بدون تأريخ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، طبعة دار الكتاب العربي للطباعـة والنشر ، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.
١٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، للسيد أحمد الهاشمي، طبعة مكتبة الأصوالي، بدون تأريخ.
١٤. الفتوحات الألهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجلي الشافعي الشهير بالجمل ، طبعة المطبعة الكبرى بـولاق ١٢٧٥هـ .
١٥. حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي علـى تفـسير البيضاوي ، للشهاب الخفاجي ، ط دار صادر بيروت .
١٦. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، لأحمد بن محمـد الـصاوي ، راجعها علي محمد الطباع ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ١٣٦٠هـ ١٩٤١م .

١٧. حاشية القونوى على تفسير البيظاوي ، لعصام الدين بن محمد الحنفي ، ضبط وتصحيح عبدالله محمود محمد عمر ، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .
١٨. حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ط المطبعة الكبرى ببولاق ١٢٦٣هـ .
١٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي بتحقيق د/زكريا عبدالمجيد النوتى وآخرون قدم له د/أحمد محمد صيده ، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
٢٠. ديوان أبي الطيب المتنبي شرح عبدالرحمن البرقوقي ، نشر الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٠م .
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
٢٢. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م .
٢٣. علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
٢٤. علم البيان دراسة بلاغية ونقدية ، د/محمد أحمد عثمان خيمر ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م طبعة المؤلف .

٢٥. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد طبعة دار الجيل بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ .
٢٦. فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية ،د/حميد آدم ثويني ، طبعة دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .
٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري ، طبعة دار المعرفة بيروت لبنان .
٢٨. لسان العرب لابن منظور ، تحقيق مجموعة من العلماء ، طبعة دار المعارف القاهرة .
٢٩. معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، طبعة دار القلم ، دمشق ، الأولى ،١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
٣٠. من البلاغة القرآنية في قصة أصحاب الجنات ، د/عبدالغفار يونس صديق ، بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، العدد الخامس والعشرين ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .
٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي ، طبعة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

فهرس الموضوعات

محتويات العدد السابع والعشرون

الجزء الرابع

رقم الايداع
٦٩٤٠/ ٢٠٠٦م

دار أبو المجد للطباعة بالهرم
ت:٠٢٣٣٨٦٥٥٩٩ - ٠٢٣٣٨٤٣٣٤٢ .
٠١٠١٥١١٥٤٦ .